



آليات تشكيل التوافق النفسي

لدى زوجات الشهداء

The Mechanisms of Forming Psychological Adjustment Among Martyrs' Wives

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

براءة أحمد معطان

بإشراف: د. لينة ميعاري

"قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج علم النفس المجتمعي من كلية

الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين"

2021

آليات تشكيل التوافق النفسي لدى زوجات الشهداء

The Mechanisms of Forming Psychological Adjustment Among Martyrs' Wives

براءة أحمد معطان

تاريخ النقاش: 2021-6-22

أعضاء لجنة النقاش

د. لينة ميعاري، مشرفة

د. سما دواني، عضوة لجنة نقاش

د. علاء العزة، عضو لجنة نقاش

إلى كل زوجة شهيد فقدت زوجها
وباتت مسؤولة عن إعالة نفسها وأبنائها
هذه المساحة لكِ
من عمق تجارب النساء الفاقات
ومن صدق أصواتهن وغنى حديثهن
هذه المساحة لكِ

الشكر والتقدير

"انتِ رحّتِ على الجانب المؤلم اللي ما حدا اطرقله واللي برافق زوجات الشهداء"

قالتها كفاح؛ للإشادة بأهمية موضوع الدراسة وكنوع من الشكر والامتنان

ولكن الشكر الحقيقي لها ولباقي زوجات الشهداء؛ ممن شاركنا أصعب وأهم تجارب حياتهن

والشكر موصول لوالدتي "رحاب العبد" ووالدي "أحمد معطان"

على دعمهم المتواصل وقربهم الدائم

ولمشرفتي الدكتورة لينة ميعاري والدكتورة سما دواني على الملاحظات القيمة

قائمة المحتويات

أ	الملخص بالعربية.....
ج	الملخص بالإنجليزية.....
	الفصل الأول: التقديم
1	المقدمة.....
3	الإشكالية والأسئلة.....
4	الأهمية.....
5	تعريفات مفاهيمية.....
	الفصل الثاني: الإطار النظري ومراجعة الأدبيات
8	التأطير المفاهيمي.....
	الفصل الثالث: المنهجية
26	المنهجية المتبعة.....
26	مجتمع الدراسة.....
27	المشاركات في الدراسة.....
35	إجراءات الدراسة.....
35	معالجة وتحليل البيانات.....
	الفصل الرابع: نتائج الدراسة
38	حدث فقدان، وما يحمل من ضغوطات.....
53	الهوية الاجتماعية لزوجات الشهداء، والتقاطع المجتمعي.....
70	السياق الفلسطيني، والترابط المجتمعي.....
	الفصل الخامس: الإنهاء
96	الاستنتاجات.....
103	قائمة المصادر والمراجع العربية.....
107	قائمة المصادر والمراجع الأجنبية.....

الملخص

هدفت هذه الدراسة، لبناء معرفة حول تشكيلات الذات لدى زوجات الشهداء، وما صحبه من تحولات نفسية واجتماعية واقتصادية. ودراسة العوامل التي شكلت لديهن حالة من التوافق النفسي والمجتمعي؛ من خلال الإجابة على تساؤلات الدراسة، المتعلقة بالدور الذي يلعبه السياق الفلسطيني الاستعماري في الصيرورة النفسية والحياتية لهؤلاء النساء، وطبيعة الدور الذي تلعبه هوياتهن الاجتماعية كنساء وأمهات وأرامل فلسطينيات في تشكل حالة من التوافق والتكيف النفسي والمجتمعي. منتهجة في ذلك المنهج الكيفي، لقدرته على استقراء الواقع، من خلال الاستماع لسردية المشاركات، واستنباط النتائج من خلال النظرية المجذرة Grounded Theory.

لتخرج الدراسة بنتيجة مفادها، بأن السياق الفلسطيني الاستعماري والذي يفرض على المرأة الفلسطينية واقعاً مغايراً عن باقي النساء، يلعب دوراً مهماً في تشكيلاتهن وتحولاتهن الذاتية، بدءاً بتعزيز بروز هويتهم الاجتماعية المركبة، وما صحبه ذلك من تعزيز وتشكيل لحسهن النفسي الجمعي، وتشكيل حالة من التوافق تمكنهن من إحداث التغيير في سياقهن. فمن خلال سرديات المشاركات خرجت الدراسة بهذه الاستنتاجات:

- شكّل حدث فقدان فارقاً أساسياً في حياة زوجات الشهداء، وعاملاً مهماً في بلورة وتشكيل ذواتهن، ودوراً فعالاً في تشكيل مفهومهن حول ذواتهن بصورتها الجديدة، بعد كم كبير من التحولات النفسية والمجتمعية.
- هويتهم الاجتماعية المشتركة لعبت دوراً مهماً وفعالاً في تشكيل حالة من التوافق النفسي والمجتمعي لديهن، واعتُبرت بمثابة تعريفٍ وجزءٍ جوهري لذواتهن. وعززت لديهنّ الاحساس النفسي بالمجتمع.
- لعبت الأمومة دوراً مركباً ومتناقضاً في حياة هؤلاء الأمهات، حيث لعبت دوراً أساسياً في استمرارية هؤلاء النساء دون توقف وكلل. وشكّل وجود الأبناء لهن مصدر قوة وضغط في آنٍ واحد.
- الشهادة بحد ذاتها وما تحمل من أبعادٍ سياسية واجتماعية ودينية شكلت عاملاً مساعداً في تعاطي هؤلاء النساء مع حدث فقدان برضا وقبول. وساعدت بعض

ب

النساء على اتخاذ الزوج الشهيد نموذجًا يحتذى به في التربية والحياة الاجتماعية، واعتماد ذلك على طبيعة علاقتهم الزوجية الجيدة قبل استشهاده.

● الدين والايمان بالقضاء والقدر شكل عاملاً مساعداً في تقبل النساء بحدث فقدان والرضاء به.

● لعب الدعم والترابط الاجتماعي دوراً في تشكيل حالة من التماسك والاستمرارية، ودوراً في تشكيلات الذات لدى هؤلاء النساء.

Abstract

The aim of this study is building a knowledge about self-formation of martyr's widows, and the accompanying psychological, social and economic transformations, and studying the factors that formed a state of psychological and social adjustment, by answering the study questions concerning the role of the settler-colonial in the psychological and social transformations of these women, and how their social identities as woman, mothers and widows help in psychological and social adjustment, I used qualitative research meeting with martyr's widows, depending on grounded theory.

The result of this study is the settler-colonial that imposes on Palestinian women a reality that is different from other women, has an important role in her own transformations and the accompanying strengthening of their psychological sense and form a state of adjustment that enables them to change their context. So, through narratives told by women. The study reached some conclusions:

1. Bereavement made a big difference in the lives of the martyr's widows, important factor in shaping their selves, and active role in shaping their self- concept in their new form.

2. Their social identity had an important role in creating a state of psychological and social adjustment and strengthening their psychological sense in the society.
3. Motherhood plays a composite and contradictory in those women's life through the continuity of these women.
4. Martyrdom, and its social, political and religious dimensions contribute to women's acceptance. And it helps some women to take martyr's husband as a role model in upbringing their children and social life.
5. Religion and fatalism was a contribute to a martyr's widow's acceptance of her husband's loss.
6. Support and social cohesion plays in shaping a state of continuity and coherence.

الفصل الأول

- المقدمة
- الإشكالية والأسئلة
- الأهمية
- تعريفات مفاهيمية

المقدمة

تُمثل الهوية الفلسطينية واحدة من أكثر الهويات المثيرة للمشاعر والتفاعلات، وذلك لأنها نمت عبر الضدية المباشرة مع المشروع الصهيوني، واخْتُبِرت على مر العقود، وتعايشت مع خطوط التماس، وولدت من فوهة التحديات المصيرية دون أن تعرف ما الذي ينتظرها في اليوم التالي (الغبرا، 2013). والتاريخ الفلسطيني يشهد العديد من النكبات والمحطات التاريخية التي كونت وعززت، ورسخت الهوية لدى أبناء الشعب الفلسطيني. فالصراع مع المشروع الصهيوني وحليفه الإمبريالي البريطاني كان الحاضنة لتبلور الهوية الوطنية الفلسطينية، وليس من العملية بمكان تناول العلاقة بين المشروعين: الهوية الوطنية، والمشروع الاستيطاني الصهيوني خارج دائرة الصراع، وهذا ما نفهمه من فيصل دراج عندما تحدث عن النص الآخر الذي يضيء الهوية، ويحفزها للظهور، والآخر هنا النص الصهيوني حصراً والذي يشتبك مع النص الفلسطيني (الرفيدي، 1991).

إدأ، ما نفهمه من المذكور أعلاه بأن السياق الاستعماري ساعد في تشكيل الهوية الفلسطينية الجماعية، وهو بالتالي قد أحدث تغييرات في البنى الاجتماعية والثقافية والسياسية لهذا الشعب. لنستنتج بأن هذا السياق الاستعماري يتميز بخصوصيته الثقافية الاجتماعية والسياسية التي تطورت وتشكلت على مر العصور. وهذا يُحيلنا للحديث حول ضرورة النظر لأفراد الشعب الفلسطيني كأفراد يتم تشكيل ذواتهم وصيرورتهم الحياتية والنفسية بناءً على ما يواجهون من هذا الاستعمار، وما يُحدث من تغييرات جذرية في بُناهم النفسية والاجتماعية والثقافية. وذلك يشير لتفردية التجارب التي قد يمرون بها، ما يصحبه من تفردية في الأبحاث والدراسات التي تُعنى بدراساتهم. فلا نستطيع على سبيل المثال دراسة واقع المرأة الفلسطينية بنفس الطريقة التي ندرس فيها واقع المرأة الأمريكية، لانعدام التجانس ما بين السياقين الفلسطيني ذو الثقافة الجمعية، والأمريكي ذو الثقافة الفردانية. أحاول في هذه الدراسة الوقوف على حدث فقدان النساء لأزواجهن بفعل الشهادة، وفهم ما يحمل هذا الحدث من تحولات في البنى الاجتماعية والنفسية والثقافية لهذه المنظومة العائلية، وما صحبه من تحولات نفسية واجتماعية لهذه المرأة الفاقدة لزوجها، وفهم تشكيلاتها الذاتية، بناءً على سرديتها الخاصة لصيرورتها النفسية والحياتية. محاولين بذلك فهم الآليات والعوامل التي مكنتها من تشكيل توافقها النفسي والمجتمعي لهذه المرحلة وما

سبقتها. ففقدان النساء لأزواجهن هنا لا يمكننا مقارنته بأيّ فقدانٍ آخر، باعتباره حدثاً جماعياً لا فردياً، حَدَثٌ على المستوى الجماعي بفعل السياق الاستعماري، وله مدلولاته النفسية والاجتماعية والسياسة الخاصة، فالشهادة تحمل معها معانٍ وأبعادٍ على المستويات الدينية والاجتماعية والوطنية، وبالتالي تعامل هذه الزوجة مع الفقدان يكون مختلفاً عما لو كان فقداناً عادياً. وتبعات هذا الفقدان وما يحمل من ارتباطات مع طبيعة السياق الفلسطيني يفرض بالضرورة تبعات وتحديات ومعيقات مختلفة عن السياقات الأخرى، مما يُشكل سرديّة مختلفة وخاصة عن باقي النساء، اعتماداً على ما مررن به من تجارب وتحولات متنوعة بفعل هذا السياق.

الإشكالية والأسئلة

جُل الدراسات والأبحاث التي تعاملت مع زوجات الشهداء كمشاركات في البحث، قامت بدراسة ما تعرضن له على المستوى الفردي (micro)، منتهجةً بذلك المنهج الوصفي الكمي، ومستخدمَةً مقاييساً جاهزةً، ذات طابعٍ وقالبٍ غربي، وعلى الرغم من تعريبهم لهذه المقاييس، إلا أن ذلك لا ينفى اختزال وفردانية هذه المقاييس وعدم تجانسها مع سياقنا الفلسطيني الاستعماري. فحدث الشهادة والفقدان، هو حدثاً جماعياً لا فردياً، والأولى بنا كباحثين دراستُهُ بنفس المستوى الذي حدث من خلاله، دراستُهُ على المستوى الجماعي (macro). وذلك لا يحدث من خلال قوالبٍ تحمل متغيراتٍ جاهزةً، بناءً على مقاييس عُملت خصيصاً لسياقٍ يختلف تماماً عن سياقنا الفلسطيني؛ بل يتطلب منّا ذلك استقراء واقع هؤلاء النساء، من خلال الاستماع لرواياتهن حول تأثيرات هذا الحدث وتبعائته، وما شكّل هذا الحدث من تحدياتٍ وتحولاتٍ على مدار صيرورتهن النفسية والحياتية، وما تبعه من تشكلاتٍ ذاتيةٍ جراء التغييرات في البنى النفسية والاجتماعية والاقتصادية في حياتهن. من أجل ذلك؛ تسعى هذه الدراسة للإجابة عن تساؤلاتٍ من شأنها بناءً أرضيةٍ معرفيةٍ في فهم طبيعة الدور والتأثير الذي يحدثه السياق الفلسطيني الاستعماري في حياة هؤلاء النساء، وإدراك تشكلات الذات التي يحدثها جراء انتمائهن لهويتهم الاجتماعية المتمثلة بكونهن نساءً وأمّهاتٍ وزوجاتٍ شهداءٍ فلسطينيات. وذلك من خلال الإجابة على تساؤلات الدراسة المتمثلة في:

- ما أثر حدث استشهاد الزوج على تشكلات الذات وتحولاتها لدى زوجات الشهداء؟
- كيف يحضر السياق الفلسطيني الاستعماري في تشكلات الذات لدى زوجات الشهداء؟
- ما هو دور الهوية الاجتماعية لزوجات الشهداء في إحداث حالةٍ من التوافق؟

الأهمية

زوجات الشهداء هنّ نساءً فلسطينيات، فقدن أزواجهن بفعل الشهادة، ونتيجةً لحدثٍ متعلقٍ بالنضال والمقاومة ضد الاستعمار الاسرائيلي؛ فهذا الحدث تعرضن له على المستوى الجماعي، لانتمائهن لهويةٍ جماعيةٍ فلسطينية، تُحتم عليهن التضحية والنضال، وتُحتم عليهن نمطاً مغايراً في المعيشة عن باقي النساء. فطبيعة السياق الفلسطيني الاستعماري

فرضَ عليهنَّ واقِعًا مليئًا بالتحديات والتضحيات والمعيقات والتجارب الحياتية المتنوعة، فالفقدان الذي واجههن لم يكن فقداً عادياً، بل فقداً يحمل معه خصوصيةً في المعنى والرؤية. وسياقهن الفلسطيني فرضَ عليهنَّ القيامَ بأدوارٍ متعددة، فغياب الزوج فرضَ عليهنَّ القيامَ بدور الأب والأم، وفرضَ عليهنَّ أيضاً تحمّل مسؤولية الأبناء ورعايتهم، ومواجهة ما يعترضهن من معيقاتٍ مجتمعية. هذه الفئة من زوجات الشهداء لم يتم دراستهن دراسةً معمقةً للاستماع لتفاصيل ما خضنه من تجاربٍ وتحديات، بل اعتمدت الدراسات والأبحاث السابقة على الافتراض المسبق لطبيعة ما يواجهنَّ من أعراضٍ نفسية، وافتراضٍ مسبقٍ أيضاً لطبيعة العوامل المؤثرة في تجاربهن، دون إعطاء هؤلاء النساء المساحة الكافية للتعبير والحديث عما عايشنَّ من تجاربٍ نفسيةٍ وظروفٍ اجتماعيةٍ.

ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة، في كونها توفر المساحة الكافية لهؤلاء النساء في سرد جُل ما مررن به من تجاربٍ وتحدياتٍ وتحولاتٍ، من اللحظة التي سمعنَ بها نبأ استشهاد أزواجهن، إلى هذه اللحظة التي بتنَّ مدركاتٍ فيها لغنى وأهمية ما خضنه من تجاربٍ وظروفٍ قد شكلت وبلورت ما هنَّ عليه الآن. وبذلك تكون هذه الدراسة قد خدمت هؤلاء النساء في إبراز أصواتهن، وإعطائهن الوقت الكافي في التأمل فيما مررن به من تجارب، والتفكير بأنفسهن ومفهومهن حول ذواتهن. وتكون أيضاً قد أضافت معرفةً نظريةً فيما يتعلق بتجربة زوجات الشهداء وتشكلات الذات لديهن نتيجة الدور الذي لعبه السياق الفلسطيني الاستعماري في فرض بنى اجتماعية ومجتمعية قد ساهمت في إحداث تغييرات على المستويات النفسية والاجتماعية والاقتصادية لهؤلاء النساء. وتكون بمثابة أرضية معرفية لنا كمختصين في علم النفس المجتمعي في بناء برامجٍ وتدخلاتٍ مجتمعية للعمل مع نساءٍ فاقداتٍ حديثاً، بالاعتماد على ما تم بناؤه من معرفةٍ في هذه الدراسة.

تعريفات مفاهيمية

الهوية الاجتماعية أو الجماعية:

تشير إلى ذلك الجزء من مفهوم الذات للفرد، والذي ينشأ من معرفته بالانتماء في مجموعة أو مجموعات اجتماعية، إلى جانب القيمة والأهمية العاطفية المرتبطة بتلك العضوية (Tajfel, 1981). ويشير مفهوم الهوية الاجتماعية في علم النفس الاجتماعي الأوروبي إلى ذلك الجزء من مفهومنا الذاتي، والذي يعتمد على عضويتنا في فئات اجتماعية أكبر كالعرق والجنس والأمة، وفي علم النفس الاجتماعي الأمريكي يستخدم مفهوم الهوية الاجتماعية للإشارة إلى نفس البنية (Makkawi, 2004). في هذه الدراسة سيتم استخدام مفهوم الهوية الاجتماعية للإشارة لهوية زوجات الشهداء بكونهن نساءً وأمهاتٍ وزوجاتٍ شهداءٍ فلسطينيات.

التوافق النفسي:

هو قدرة الفرد على تحقيق الانسجام ما بين قواه النفسية ودوافعه، وتحقيق الإشباع، وصولاً إلى الرضا والسعادة، والتكيف النشط مع البيئة الخارجية، والاندماج في أنشطتها والإسهام في نموها، والانفتاح على الناس، بحيث يصل لمرحلة يكون فيها قادراً على إدارة دفة الحياة (حجازي، 2000). ومن هذا التعريف يتبين لنا بأن مفهوم التوافق يصحب معه بالضرورة سعي الفرد للتغيير في مجتمعه، والإسهام في تطوره. فهو لا يقتصر على أثره الفردي، بل يشمل تأثيره على المستوى الجمعي. وهذا ما تسعى الدراسة هنا لإبرازه، تبيان أن حالة التوافق لدى زوجات الشهداء ليست مجرد تكيف مع محيطهن، بقدر ما هي شروع بتغيير الواقع والسعي الحثيث لمواجهة ما يعترضهن من معيقات وتجاوزها.

مفهوم الذات:

هناك مكونان لمفهوم الذات، الأول يتعلق بالهوية الشخصية، والتي تتضمن سمات فرديةً محددةً مثل الشعور بالكفاءة، والسمات النفسية، والقيم الشخصية. والثاني يتعلق بالهوية الاجتماعية، والتي تنبع من معرفة الفرد وشعوره بشأن عضويته في مجموعة اجتماعية (Tajfel & Turner, 1986). استخدمت هذا المفهوم من خلال حديث زوجات الشهداء

حول أنفسهن، ونظرتهن لذواتهن، وربط هذه السردية بالسياق الذي شكّل مفهوميهن ونظرتهن حول ذواتهن.

الفصل الثاني:

التأطير المفاهيمي
ومراجعة نقدية للأدبيات

التأطير المفاهيمي

بعد توضيح إشكالية الدراسة وأهميتها وتساؤلاتها في الفصل الأول، وتعريفات لأهم المفاهيم التي سيتم تناولها والتطرق لها في هذه الدراسة. سنتطرق هنا للحديث عن المجتمع الفلسطيني وبنائه الاجتماعية والمجتمعية، ونُعرِّج على طبيعة واقع زوجات الشهداء، ومن ثمَّ سنوضح بعض المفاهيم والنظريات التي ستساهم في فهم واستقراء صيرورة زوجات الشهداء.

المجتمع الفلسطيني

الشعبُ الفلسطينيّ هو جزءٌ من الأمة العربية، وتعودُ الإشارةُ إليه كشعبٍ، بعد الحرب العالمية الأولى عام 1921. وفي أعقاب النكبة عام 1948، والتهجير القائم حينها، بات يطلقُ اسم "فلسطينيّ" على كلِّ شخصٍ عربيّ يسكنُ في هذه المنطقة، وكلِّ شخصٍ تهجّرَ إلى خارجها، سواءً في المناطق العربية أو الغربية، وكلِّ شخصٍ وُلد لأبٍ فلسطينيّ أو له جذورٌ فلسطينية (Abney, 2019). وفي عام 1947 صدر قرار تقسيم فلسطين فيما يعرف بقرار رقم 181، قسم من خلاله الاستعمار الاسرائيلي فلسطين إلى عدة أقسام، محاولاً بذلك إضعاف وليّ الكلّ الجمعي الفلسطيني، والسيطرة على بعض المناطق الفلسطينية على كل الأصعدة السياسية والاجتماعية والتربوية، والاقتصادية. لنرى نتيجة ذلك ما يطلق عليه بمنطقة الداخل المحتل، والتي تشملُ المناطق الشمالية والساحلية، ومناطق الضفة الغربية، وتشمل منطقة القدس وغزة والجنوب والوسط.

كان المجتمع الفلسطيني وما زال إلى يومنا هذا مجتمعاً جمعيّاً، تسوده الثقافةُ الجمعية، بمعنى؛ هذا المجتمع يُولي أهميةً كبيرةً للجماعة، وتُشكّلُ الجماعةُ مكوناً وركناً أساسياً فيه؛ ولهذا تُشكّلُ الأسرةُ الفلسطينيةُ قيمةً كبيرةً للفرد. وعند الحديث عن الأسرة الفلسطينية، وما مرت به من تحولاتٍ على مرّ السنين، نجد بأنّ هناك قيماً ثقافيةً، تقليديةً موروثةً في المجتمع الفلسطينيّ ما زالت قائمة، وقد تُشكّلُ أحياناً أساساً لمعايير التربية والتنشئة الاجتماعية. ومن أهم هذه القيم الثابتة والراسخة، التفرقة الحاصلة بين الذكر والأنثى في عملية التنشئة في بعض الأسر الفلسطينية، وخاصةً في الريف الفلسطيني، والمخيمات. عدا عن الرغبة في إنجاب الذكور دون الإناث، والاعتقاد بأنّ الأنثى مصدرٌ تشتيتٌ للملكية، من خلال نظام المواريث الإسلامي بحسب اعتقادهم (الهوراني، 2002).

وتتبع الأسرة الفلسطينية نظام الهرمية الأبوية، بمعنى؛ السلطة فيها وتقسيم العمل والأدوار يتبع لأكثر الذكور سنًا، حيث يُمثل الأب أعلى الهرم، وفي بعض الأسر قد تُمثل الأم أعلى الهرم مع الأب، وفي البعض الآخر قد تُمثل الأم مكانةً دونيةً، لا تستطع إبداء رأيها في أصغر القضايا والأمور، وأحيانًا يتم لومها، وتحميلها الأخطاء التي تقوم بها أسرتها، من باب رمي الحمل على أضعفهم مكانةً، وسلطةً.

واقع زوجات الشهداء

تنشأ في المجتمعات المقهورة، والواقعة تحت الاستعمار خاصةً، حالة من الازدراء، للذات وللآخر، فنُصِب على غيرهم من أفراد المجتمع، حيث يعكسون العار، والمأساة ضمن منهجية (الأعرج، 2018). ويمر المقهور بحسب حجازي (2005) بثلاثة مراحل، بدايةً بما يسمى بمرحلة الرضوخ والقهر، وفيها يكره الفرد ذاته، ويوجه عدوانيته تجاه نفسه، ومن يقبع تحت ذات مستوى القهر، ويُزيح هذه العدوانية ليمارسها تجاه الأضعف منه. ليصل بعدها لمرحلة الاضطهاد، والتي يُحوّل فيها الفرد الكره، والعدوانية التي كان يمارسها بحق نفسه، إلى الآخرين، ويبحث عن مخطئ ليُحمّله وزر هذا الشعور، ليتخلص من عقدة الذنب والدونية والعار. وفي المرحلة الأخيرة، يُقرر الفرد مواجهة المتسلط، لذلك تسمى بمرحلة الانتفاض والتمرد، حيث يُقرر فيها الانتفاض، والتعبير عن الرفض، والقهر بمواجهة مسبب هذا القهر، ليتخلص من هذه العقد. لنجد بأن المرأة، هي من تُسَقَل، وهي من يتم ازديادها، وتحويل العار تجاهها، فهي الكائن المستضعف، الهش، في المجتمعات المقهورة والمتخلفة. فالعادات والأعراف الثقافية التي تُفرض على المرأة، مثل العفة وغيرها من القيم التي تقمع جسدها، نجد لها مطابقًا في القوانين التي يفرضها المتسلطون على المقهورين، من خلال غرس قيم الطاعة، والزهد في الحياة، والقناعة بضالة الأجور، والوفاء لأولياء النعمة، وبذل الحياة في الدفاع عنهم، بينما يستمتعون هم بقيم الجشع والنهب والربح المتزايد (السعداوي، 1971). لذلك تُعرّض المرأة في مجتمعاتنا للاستغلال، والخداع، ويتم التعامل معها كأداة، أداة للإنجاب والزواج، وللطاعة والتملك. فنُحوّل لكائن هش، قاصر، ضعيف، جاهل، تحتاج لوصاية ذكورية طويلة الوقت، بدءًا بالأب، فالأخ، العم، الخال، لتنتهي بالزوج، والابن. وتُبخس المرأة، وتُختزل بعشاء البكارة، شرف المجتمع ككل. فكما تقول السعداوي (1971) ربط المرأة بالبكارة، وربط شرف الرجل بالأمر نفسه، يُشير إلى مدى الركاكة التي تُميز اعتباره الذاتي، ومكانته بين الآخرين، ومدى عظم الأخطار التي تُهدد هذه المكانة، وذلك يجعلنا نفهم لماذا يُقبل العشائري على هذا الفعل بكل هذا الهياج

الانفعالي، فهو يُسْقِطُ كُلَّ عَارِهِ عَلَى الْمَرْأَةِ، مما يتيح له الاحتفاظ بمظهر القوي. وجنايةُ الشرفِ ما هي إلا استردادٌ، وردعٌ للمرأةِ التي حاولت أن تكون ذاتها، وهذا الفعل هو إعادةً لوضعيتها كأداةٍ تمتلكها العشيرة، وتنتقل ملكيتها لقاء مصلحة، أو لقاء مقدارٍ من النقود، وهذا يشير لاختلال في العشيرة، نابع من وصول القهر المفروض على الجميع إلى أقصى حدوده. كل هذا يساعدنا في فهم الحالة المجتمعية، والسياق الفلسطيني، الذي يفرض على المرأة الفلسطينية نمطاً معيناً في المعيشة، ويساعدنا في فهم ما تتعرض له، وفهم ما يُشكل ويبلور ذاتها. حيث شهدنا العديد من جرائم القتل على خلفية الشرف في مجتمعنا الفلسطيني، وقرأنا العديد من التعليقات التي تُبرر للمغتصب والمتحرش فعلته، وإلقاء اللوم على لباس الفتاة وسلوكها، وقرأنا أيضاً تعليقات من ذات الأشخاص، وممن يعتبرون أنفسهم نشطاء ومؤثرون، بعض التعليقات المهينة على مشاركة الفتيات في المواجهات، والاشتباكات مع الاستعمار الاسرائيلي، حيث كانت غالبية التعليقات تُركِّزُ على لباس الفتيات، دون الالتفات لدورهن النضالي، والشجاعة التي تحلّين بها، حيث حاولوا في هذه التعليقات التقليل، والتبخيس بكل فعلٍ يقمّن به، مهما كان جريئاً، وفعالاً. وهذا التحقير الساخر، ما هو إلا تعبيرٌ عن مشاعر دونية وضعف، لذلك يجاهر المقهور بمقولات مسيئة لغيره من الواقعين تحت القهر ذاته، فالفتاة عندما تصفع جندي، أو تتجرأ على فعل لا يتجرأ عليه الذكر، يقوم الذكر بقياس ذلك على نفسه، وعدم قدرته على فعل ذلك، ويقارن خضوعه أمام الجندي، بانتفاض تلك الفتاة، فيشعر بالخزي، مما يدفعه لاستحضار كل الإسقاطات السلبية عليها (الأعرج، 2018). وبذلك تُستخدم المرأة كأداةٍ للتعويض عن المهانة التي يتعرض لها الرجل المقهور اجتماعياً.

يقابل هذا التبخيس والحط من شأنها وقيمتها، مَثَلَنَةً مفرطَةً نُدْرُ أن وجدنا لها نظيراً عند الرجل، هذه المثانة تبدو في إعلاء شأن الأمومة، وإغداق الصفات الإيجابية عليها (نبح الحنان، رمز التضحية.. الخ)، وهكذا تتفاوت مكانة المرأة في نظر الرجل، ونظر المجتمع عموماً، ما بين التبعية والمرجعية الطفلية، فهي تابعٌ لا حرية لها ولا إرادة، وهي مرجعيةٌ يقفُّ منها الزوج، والأبناء موقفاً طفلياً اتكالياً (حجازي، 2005). كل ذلك نلمسه ونعايشه نحن كنساء في مجتمعنا الفلسطيني، وحتى في اللحظة التي نحاول أن نعبر فيها عن ذاتنا، ونتمرد فيها على كل تلك القيم، والعادات، والسلوكات التي تُبَخِّسُ من قدرنا، نُوجَّهُ بأفطع أنواع الاتهامات، ويتم إرجاع هذا التحول، وهذا الوعي لـ "ذكر" سيطر علينا بأفكاره، ما دفعنا للتغيير، والتمرد، وكأن المرأة لوحدها لا تملك قدرًا من الذكاء، والعقلانية التي

تؤهلها للوصول لمرحلة نقدية، تعي فيها حقها في الانتفاض، وحقها في السيطرة على زمام أمورها دون وصاية ذكورية.

إن مسألة تحرير المرأة ليست مسألة فردية نسوية محضة، بل مسألة هامة متعلقة بأهمية الثورة التي اشتركت بها المرأة، سواءً كانت فلاحاً، عاملة، أو برجوازية، ومشاركة المرأة في النضال، والمساهمة في الخلاص من الاضطهاد المجتمعي والاقتصادي، تزداد قيمته إذا كان نضالاً مشتركاً مع الرجل رفيقها في المقاومة، والذي بدوره هو الآخر مضطهد من الاحتلال، والاقتصاد، والعمل المأجور (موقع إذاعة نساء، 2014). فالتحرر الوطني نضال يتجاوز سؤال الانعتاق من الاستعمار الاسرائيلي وحده، فوظيفة النضال أن يحمل آلام الناس الشخصية ورواياتهم الشخصية إلى حيز يتشاركون فيها مع آخرين، ويتبلور شعور جماعي بالاضطهاد والغضب، وتعبير جماعي عن القهر يُشكل حكاية جماهيرية وعامة؛ وبذلك تتحول الحكايات الشخصية المبعثرة لرواية جامعة حول منظومات تسحق الناس، تخلص إلى مقولات سياسية لفهم هذه الأنظمة ومواجهتها (أسعد، 2019).

وقد استطاعت المرأة الفلسطينية رغم ذلك، أن تثبت حضورها، ودورها النضالي في الساحة الفلسطينية والتحرر الوطني في عوالم يهيمن عليها الرجال أصحاب الامتيازات في الفصائل والمنظمات والجمعيات، لنرى الشهيدة، الأسيرة، أم الشهيد/ة، وأم الأسير/ة، وزوجة الشهيد، ونرى قيامها بالعديد من الأدوار في ظل غياب "الذكر"، وحتى مع وجوده، أدواراً أثبتت فيها المرأة قدرتها على النهوض، والتطور، وإعالة أسرته، وعدم الاستسلام والرضوخ لكل ما يواجهها من معيقات وضغوطات.



أدرج كناعنة (2011) رسومات للفنان الفلسطيني ناجي العلي، وكان من ضمنها الرسمة أعلاه، والتي عبر فيها العلي عن إدراكه لمتانة روح المرأة الفلسطينية وشخصيتها، ومدى تحكمها بالرجل، واعتماد الرجل عليها في الشدائد والأزمات، ففي هذه الرسمة يوضح العلي حال الرجل الفلسطيني الخانع، المستسلم، المتباكٍ على الوضع السياسي، ويُصور المرأة الفلسطينية، بالمرأة المبادرة، الواعية لحتمية المقاومة في استرداد حقوق الشعب الفلسطيني، بكونها الخيار الأوحده والأخير. ويرى كناعنة أنّ المرأة الفلسطينية أصلح وأنجع من الرجل في تحمل مسؤوليات مجتمعٍ يحتاج إلى الصمود، والنهوض تحت ظروفٍ صعبة مثل مجتمعنا، يخضع للاستعمار والإبادة. وعلى الرغم من كوني لا أحبذ خطاب الأفضلية بين الجنسين، فلكل إمكانياته وقدراته، إلا أن السياق الفلسطيني الاستعماري أثبت ذلك حقيقةً، واستطاعت المرأة الفلسطينية على مر الحقب التاريخية تحقيق أعتى النضالات، وتسطير أعلى درجات من الصمود والتحدي، في وجه الاستعمار الإسرائيلي. والتاريخ الفلسطيني مليء بأسماء نساءٍ فلسطينيات، أحدثن فروقاتٍ في الوعي الشعبي الفلسطيني، وهذا ما شهدناه عند النساء اللواتي عايشن النكبة وتبعاتها، واستطعن الصمود، والنهوض بالعائلة الفلسطينية المهجرة من جديد، واضطرن للعمل في مختلف أوجه النشاط الاجتماعي والاقتصادي، لإعالة أسرهن، والحفاظ على حياتهم. عدا عن الأمهات والزوجات اللواتي قدمن أبناءهن، وأزواجهن للالتحاق في الصفوف الأولى في المقاومة، ولم يثنيهن عن ذلك شيء. ولا يغيب عن أذهاننا قصة أم ناصر أبو حميد، أمّ لشهيد، وأمّ لأربعة أبناء محكومين بالمؤبد، وأمّ صاحبة بيت مهدم، عندما سُجن أحد أبنائها، انتهج الاستعمار سياسة الضغط على الأسير باستخدام والدته، باعتبارها فخّ أمني حقيقي، كما قال الأعرج (2018)، لذلك حاولوا الاتصال على أم ناصر، للضغط على ابنها من خلال دموع وبكاء والدته، إلا أنها فاجتنتهم بقولها:

"يما هاي مواقع الرجال، إذا فتحت فمك ترجعش على الدار، طلعت زلمة بترجع

زلمة"

لتسطر بذلك حالة نضالية يُحتذى بها. وهذا الفعل ليس بغريب على المرأة الفلسطينية، التي تُنذر أولادها لفلسطين، وتُنذر زوجها فداءً للقضية، والمقاومة، وهذا ما شاهدناه بأعيننا خلال العدوان الأخير على قطاع غزة في أيار عام 2021. هذه التضحيات، يصحبها العديد من التحديات والمعيقات والصعوبات، وإدراجنا لمثل هذه النماذج البطولية من النساء الفلسطينيات، يُحفزنا لسماع روايتهن، وسرديتهن لما حصل ويحصل لهن ومعهن، فالكثير منهن يُظهرن تماسكاً وقوةً، لا مثيل لها، لكن

هناك مشاعر يتم التعامل معها بحذر، ولا يتم إظهارها للعيان، فهذه الصلابة، وهذا الصمود، وهذا الصبر البادية معالمه، لا يأتي من فراغ، فالنساء اللواتي نذرْنَ أبنائهنَّ للوطن وللقضية، من الطبيعي بأن يكون هناك ألمٌ يعتصرُ بنفوسهن، ولكنهن يحاولن إخفائه، تجنبًا لإضعاف همم أبنائهن. والنساء اللواتي فقدن أزواجهن، يتحملن أعباءً ومسؤولياتٍ مضاعفة، فهي ملزمة بالقيام بعدة أدوار، دورها كأم وأب، تُربي وتُعيد، فهي الموجهة، والمعيد الرئيس والوحيد لهذه الأسرة. ولا يخفى علينا ما تتعرض له زوجات الشهداء من معيقات، وضغوطات مجتمعية، واقتصادية مضاعفة. فهي لم تفقد زوجها فقط، بل فقدت معه "الأمان أو الدرع" الذي يحميها ويمنع الناس من التعرض لها، أو استغلالها، من أقرب الناس عليها. فالكثير منهن تم استغلالهن والضغط عليهن للزواج، أو ترك أبنائهن، أو حتى حرمانهن من الميراث، أو مستحقات زوجها الشهيد، ومع ذلك رأينا في محيطنا من استطاعت الحفاظ على نفسها، وبيتها، وتربية أبنائها، وتعليمهم. وهذا ما نحاول معرفته في هذه الدراسة، سماع سرديّة هؤلاء النسوة، ممن فقدن أزواجهن، واضطُرن للقيام بعدة أدوارٍ في آنٍ واحد. ففي هذه الدراسة سنسمع رواية هؤلاء النسوة، حول تجاربهن الحياتية والنفسية، وكيف شكلت هذه التجارب حياتهن، ومفهومهن حول ذواتهن.

تتبع أهمية التطرق لهذه الفئة في خصوصية الحالة المركبة والمعقدة والمتناقضة لهؤلاء النساء، وهذا يُذكرنا بمفهوم "التقاطعية" التي نادى به كيمبرلي كرينشو (Crenshaw, 2005)، فاعلة نسوية من أصول أفريقية، أشارت إلى مفهوم "التقاطع المجتمعي"، لتوضح حقيقة كون العديد من القضايا الاجتماعية مثل العنصرية والتعصب الجنسي، غالبًا ما تكون متداخلة، مما يخلق مستويات من الظلم الاجتماعي. استندت كرينشو على هذا المفهوم، نتيجة شكوى قضائية لامرأة تدعى إيما ديغرافنايد، وهي امرأة أمريكية من أصول أفريقية، زوجة وعاملة وأم، إيما رفعت شكوى حول التمييز العنصري والتمييز القائم على النوع الاجتماعي، ضد مصنع لتصنيع السيارات، لرفض توظيفها في المصنع. ولكن قضيتها تم رفضها من قبل القاضي، بحجة أن صاحب العمل يوظف أمريكيين من أصول أفريقية، ويوظف نساءً أيضًا، وبذلك تكون شكواها باطلة، وتم رفض السماح لإيما بسرد قصتها أمام القضاء، وبالتالي فقد تعرضت إيما لظلم مضاعف. بعد عدة سنوات، استطاعت كرينشو تأطير هذه القضية، فقضية إيما على سبيل المثال لم يتم التعامل معها من قبل القضاء تحت مسمى التمييز العنصري، فقد تم

توظيف رجال من أصول أفريقية في هذا المصنع، فإيما، كونها "سوداء" و "امرأة"، فقد وُضعت في تقاطع هذه الطرق، وبالتالي تعاني من التأثير المتزامن لانحياز الشركة للنوع الاجتماعي والعرق، فالمصنع لا يوظف إلا "رجال" من أصول أفريقية للعمل اليدوي ومع الماكينات، ولا يوظف إلا "نساء بيض" للعمل في الاستعلامات والسكرتارية، وهذا ما أسمته كرينشو بـ "التقاطع المجتمعي". فالتقاطعية كما تراها كرينشو، هي عدسة، نستطيع من خلالها معرفة المصادر التي تأتي منها السلطة وتتصادم، وكيف تتداخل هذه المصادر وتتقاطع (Columbia Law School, 2017). فزوجات الشهداء هنا، هنّ نساءً أولاً، وأراملاً ثانياً، وأمّهات أخيراً. وكل صُنافة من هذه الصُنافات تحمل معها الكثير من الالتزامات المجتمعية، والعديد من الحقوق المسلوقة، أو محاولات لسلب هذه الحقوق.

فزوجات الشهداء هنّ نساءً فلسطينيات، فقدن أزواجهن بفعل الشهادة، ونتيجة حدث متعلق بالنضال والمقاومة ضد الاستعمار الإسرائيلي؛ فهذا الحدث ليس حدثاً فردياً أو شخصياً، وإنما حدثاً جماعياً، تعرضن له على المستوى الجماعي، لانتمائهن لهوية جماعية فلسطينية، تُحتم عليهن التضحية والنضال، وتُحتم عليهن نمطاً مغايراً في المعيشة عن باقي النساء. فطبيعة السياق الفلسطيني الاستعماري فرضَ عليهن واقعاً مليئاً بالتحديات والتضحيات والمعيقات والتجارب الحياتية المتنوعة، فالفقدان الذي واجههن لم يكن فقداً عادياً، بل فقداً يحمل معه خصوصيةً في المعنى والرؤية. فالشهادة تحمل معها معانٍ ورمزياتٍ وأبعادٍ دينيةٍ واجتماعيةٍ وسياسيةٍ ترتبطُ بالسياق الفلسطيني الاستعماري، وتمكنهن من إدراك الحدث بجوانبه المتعددة. وسياقهن الفلسطيني المقهور والمضطهد؛ انعكس في التعامل معهن كنساء في المرتبة الأولى، فبخس من قدرهن كنساء كما ذكرت أعلاه، وفرض عليهن وصايةً ذكوريةً على مدار سيرورتهن الحياتية. والوصاية الذكورية في المجتمعات المقهورة تأتي كمصدر سلطة يُفرض على النساء، لاعتبار النساء هنا ضعيفات وقاصرات ولا يقدرن على تقرير مصيرهن وإدارة دفة حياتهن، وتأتي من باب حمايةٍ "سلطوية" لهنّ من ظلمٍ اجتماعي ومجتمعي مضاعف قد يمارس بحقهن بمجرد انتزاع هذه الوصاية. ووجود الوصاية الذكورية لا ينفي تعرضهن لظلم مجتمعي، بل يُحيلنا لنوعية الظلم المجتمعي المتجذر الممارس بحق النساء، المتمثل بالنظرة الدونية للمرأة عموماً، والتبخيس من قدرها ومكانتها، والخط من شأنها. والتعامل معها كمحطة اسقاطات "ذكورية" تفرغية؛ عند كل فشلٍ وهزيمةٍ ومهانةٍ يتعرض لها الذكر اجتماعياً ومجتمعيًا.

وزوجات الشهداء هن أمهاتٌ أيضاً، فَرَضَ عليهن السياق الاستعماري القيام بعدة أدوارٍ في أن، فهي الأم والأب والموجهة والمعيد الرئيس لأبنائها، وهي الراعي الأساس لحقوق ومستحقات أبنائها. لنجد بأنها محملةٌ بمسؤوليةٍ كبيرة، متمثلة بمسؤولية أبنائها وإعالنتهم وتربيتهم، والمحافظة على حقوقهم، والمواجهة لاسترداد حقوقهم في حال تعرضهم للاستغلال والظلم الاجتماعي. ومن جانبٍ آخر، نرى تلك المرأة منزوعةً من "الوصاية الذكورية" مما يعرضها لظلم اجتماعي مضاعف؛ قد يتمثل في مضايقات المحيط الاجتماعي، الذي يحاول فرض الزواج عليها مجدداً، أو حرمانها من مستحقات زوجها المالية، وأحياناً محاولة حرمانها من حقها في حضانة أبنائها، والتقييد عليها في حال قررت الزواج ثانيةً في نزع حضانة أبنائها منها. لنجد بأن كل الخيارات التي قد تقررها هذه المرأة في مجملها قرارات مصيرية؛ ستحمل معها تبعات ومسؤوليات لا تتعلق بحياتها فقط، بل وبمصير أبنائها وحياتهم. وبذلك يقع على عاتقها عبء القرار، وعبء تحمل مسؤولية هذا القرار.

مسؤولية الأمومة هذه تحيلنا لمفهوم "الأمومة السياسية"، والذي ظهر في نهاية إبريل عام 1976، بعد الانقلاب العسكري الذي حدث في الأرجنتين، حيث التقت مجموعة صغيرة من أمهات مغيبى الأيام الأولى للانقلاب العسكري على باب مكتب سكرتاريا الكاهن العسكري الأرجنتيني، لمعرفة مصير أبنائهن. ولعدم نجاح هذه المحاولة كبدائية، قررت الأمهات تنظيم مجهودهن ووقفاتهن، والتوجه لمقر الرئاسة الأرجنتينية. وتحولت هذه الوقفات والمظاهرات إلى فعلٍ ثابتٍ أسبوعي عصر كل خميس. زادت أعداد هؤلاء الأمهات، وبدأت الأمهات بوضع مندبلٍ قطني أبيض لتمييزهن. في البداية، تعاملت الحكومة مع الموضوع بتهكم، بحجة أنهنَّ مجموعةٌ من العجائز لا يقدرن على شيء. ولكن حين علمت السلطات بنية الأمهات تقديم وإصدار بيان جماعي وإيصاله للصحافة، تم اختطاف اثنا عشر شخصاً مرتبطين بهذه الحركة، وما زال مصيرهم كمصير آلاف المغيبين الآخرين، مجهولاً إلى يومنا هذا. الوقفات الأسبوعية لم تتوقف بعد هذه الضربة بحق الحركة، وتوسعت بازدياد، وبدأ التشبيك مع منظمات سياسية وثقافية أرجنتينية أخرى، بقيادة هيبي دي بونافيني، إحدى مؤسسات "الأمهات"، والتي تم اختطاف اثنين من أبنائها، وزوجة أحدهما. تُقدم هذه المنظمة نفسها كمنظمة سياسية، لا تتقلد عضواتها أية مناصب سياسية بصفتهن "أمهات"، ولا يشاركن بالانتخابات كحزب، ولكنهن يشددن على أن عملهن سياسي بقدر ما هو حقوقي (Agosin, 1987). استعراضي لهذا الحدث، ونشأة هذه الحركة من قبل أمهات المفقودين في الأرجنتين، لأثبتت بأن نضال الأمهات، مهما كان، هو نضال سياسي، وتمسكهن بحقوق أبنائهن هو سياسي قبل أن يكون حقوقي؛ وتحديداً في

ظل السياق الاستعماري المفروض. فهذه هي المقاومة التي ستؤتي ثمارها. تمسك أمهات الأرجنتين بوقفاتهن، وتوسع المنظمة، نابع من ايمانهن بضرورة الفعل، وضرورة الصمود لاسترجاع أبنائهن. في مقابلة مع إحدى الأمهات، تقول:

"أبناؤنا غُيبوا لأنهم فعلوا شيئاً، لأنهم ثوار، ولأن قضيتهم عنوانها البحث عن حياة أفضل، أكثر عدالة وحرية ومساواة، لذلك لا تقتصر قضيتنا على الدفاع عن عودة أبنائنا لأنهم أبنائنا، بل يجب علينا أن نكمل الطريق الذي خطوا فيه، وغُيبوا لأنهم كانوا فيه".

وبهذا تُبنى أدبيات أمهات ساحة مايو على أنهن لا يبحثن عن التعاطف مع أمهات مفجوعات، بل التضامن معهن كمناضلات منحازات لكل القضايا العادلة من وجهة نظرهنّ، داخل وخارج الأرجنتين (السويحة، 2015).

فمن منظور الأمومة السياسية، هذا الحراك وهذا الفعل تقوده وتقويه الهوية الاجتماعية لهؤلاء الأمهات، هويتهن كأمهات مناضلات فقدن أبنائهن، ويحاولن استردادهم من خلال وقفاتهن وتكاتفهن.

الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق

فمفهوم الهوية الاجتماعية كما عرفها تاجفيل (Tajfel, 1978) هو جزء من مفهوم الذات لدى الفرد يُشتق من معرفته بعضويته للجماعة أو الجماعات مع اكتساب المعاني القيمية والوجدانية المتعلقة بهذه العضوية. فعملية تكوين الجماعة تخلق ثقة متبادلة مدركة، فهي تحول إدراك الأفراد لأهدافهم، ففي حالة "تغيير إدراك الذات" تعمل الهوية الاجتماعية البارزة على تغيير إدراك اهتمام الذات Self-Interest بحيث تُحول اهتمامات الذات الشخصية المختلفة إلى اهتمامات جماعية، ويخلق حالة من التعاون داخل الجماعة (Turner, 1999). إلا أن هوبرت (Hubert, 2002) يرى بأن العلاقة ما بين الذات والهوية تتجاوز كونها علاقة ثنائية، فنظريته "حوارية الذات" تُعتبر الذات ممتدة، وبالنظر لكون الذات ممتدة؛ فإن الآخر أو الجماعة تُشكل جزءاً جوهرياً منها وليست خارجها، حيث تنسج هذه النظرية مفهومين، الذات والحوار؛ معاً بطريقة تجعلنا نفهم بأن الترابط ما بين الذات والمجتمع بات ممكناً. حيث يشير مفهوم الذات بالعادة إلى شيءٍ "داخلي"، شيء يحدث في عقل الفرد، بينما يرتبط الحوار بشيءٍ "خارجي"، في إشارة إلى العمليات التي تحدث ما بين الأشخاص

المشاركين في هذا الحوار والتواصل. ويذهب هذا المفهوم المركب "الذات الحوارية" إلى ما وراء هذه الثنائية؛ من خلال جلب الخارجي إلى الداخلي، وفي الاتجاه المعاكس، لإدخال الداخلي إلى الخارجي، وبذلك تمثل الذات تنوع العلاقات ما بين المواقف المختلفة، وبذلك يسمح هذا الترابط ما بين الذات والمجتمع بالتخلي عن مفهوم الذات باعتبارها جوهرية ومغلقة بحد ذاتها، كما يراها علم النفس الفردي الغربي. فهذه النظرة ترى الذات على أنها شاملة للثقافة المجتمعية، والثقافة المجتمعية شاملة للذات، وهكذا يتجنب هذا المفهوم مآزق التعامل مع الذات باعتبارها فردية وقائمة بذاتها، والنظر للثقافة المجتمعية باعتبارها مجردة وغير شخصية. وينصب التركيز في هذه النظرية حول تعدد الهويات التي تؤدي إلى تكوين وتشكيل تعدد في المواقف أو الأصوات الثقافية التي تتجمع في ذات الفرد الواحد.

وبذلك يمكننا ربط ما ناقشناه أعلاه بمفهوم الحس النفسي للمجتمع أو الإحساس بالانتماء إلى المجتمع Sense of Community الذي أشار إليه الباحثان ماكميلان وشافيز (McMillan & Chavis, 1986) باعتباره ذلك الشعور لدى أعضاء الجماعة بالانتماء، والشعور بأن الأعضاء مهمون لبعضهم البعض وللمجموعة، والإيمان المشترك بأن احتياجات الأعضاء ستُلبى من خلال بقائهم موحدين. ويرون بأن هذا الشعور يأتي وفقاً لتوفر أربعة عناصرٍ داخل المجموعة، يتضمن ذلك عضويتهم بالجماعة وشعورهم بالأمان العاطفي والاتصال العاطفي المشترك، وحاجاتهم بأن لديهم بعض التأثير في المجموعة، ويكون المجموعة لها تأثير على أعضائها فذلك يعزز من التماسك ما بين أعضاء المجموعة ككل. بالإضافة لوجود تكامل وقدرة على تلبية الاحتياجات، فالأفراد يشعرون بالمكافأة بطريقةٍ ما لمشاركتهم في المجتمع. وبهذا نرى بأن وجود هوية اجتماعية مشتركة يعزز من الحس النفسي بالمجتمع.

عملت فيني (Phinney, 1989) مع الأقليات العرقية، وحاولت قياس مدى وعي الفرد بانتمائه لجماعته وماذا يعني هذا الانتماء له. مستندةً في ذلك إلى نظرية التطور عند أريكسون وتتبع نظرية الأنا لدى مارشيا، ونظرية الهوية الاجتماعية عند تاجفيل، وتوصلت إلى أن المراهق خلال تشكيل هويته العرقية يمر بثلاثة مراحل، ففي البداية يغلب على المراهق حالة من التشويش للهوية، ففي هذه المرحلة لا يلاحظ المراهق القضايا بنفسه، بل يستدخل قيم، وآراء الآخرين دون تشكيك، إلى أن يواجه حدثاً وسيافاً يستدعي منه التفكير جيداً في هويته العرقية، ما يحفزهُ لتشكيل تصوراتهِ الشخصية عن هذه الهوية، وهذا لن يحدث إلا بتوفير مساحة حوارية وتفاعلية آمنة مع الآخرين، وتوفير دعم

من قبل الآخرين في السياق. فكما يقول طاليس (1924) بأنه في المستويات العليا من التواصل، يكون الآخر هو "الأنا المتغيرة"، فالآخر يشبهني "أنا"، لكنه في الوقت نفسه ليس مثلي "الغير". فالتعامل مع الاختلافات يتطلب القدرة على التعرف على الشخص أو المجموعة الأخرى والاستجابة لها، كخاصية مركزية للحوار المتطور، لأن التغيير هو ضرورة في عالم يواجه فيه الأفراد والثقافات اختلافات قد لا تكون مفهومة في البداية، ولكنها قد تصبح مفهومة وذات مغزى كنتيجة للتبادل الحوارية. وهذا يُحيلنا لضرورة وأهمية وجود مساحة حوارية آمنة لإبراز ما نحمل من هوياتٍ مختلفة ومركبة، لفهمها وإدراك فحوى اختلافها، ليتم بذلك بناء وإعادة بناء لهوياتهن العرقية والمركبة. ولكن في حال لم يتعرض هذا الفرد لحدثٍ وسيقاق، أو أزمة تُجبره على تفكيك ما تم استدخاله من قبل الأهل أو المحيط الخارجي، فلن يصل لهوية عرقية، بل يبقى في المرحلة الأولى من تشويش الهوية، وغياب رؤية واضحة، وانتماء فعلي لعرقه، وهويته العرقية. عملية تشكيل الهوية الإثنية، أو العرقية، تتضمن البناء مع الوقت، لإحساس الشخص بالذات، واتجاهات الشخص، والفهم المرتبط بعضويته في جماعة. وحتى يتم فهم الهوية العرقية بشكلٍ كامل، لا بد من إدراكها بعلاقتها مع غيرها من الهويات لأكثر الجماعات أقلية، بمعنى فهم هويتهم العرقية كجزء من هويتهم الثقافية (Phinney, 1989). فشعور الأفراد بقيمة وجودهم كأعضاء في الهوية العرقية التي تعبر عنهم، تشكل مركباً أساسياً لوجودهم ضمن ثقافة هذه الهوية وقيمها، ومبادئها والنزوع إلى تمثل هذه القيم، واستدخالها كقيمة معنوية، لوجودهم في هذه الهوية العرقية (أبو صبح، 2011).

ووجدت الدراسات بأن هناك علاقة إيجابية بين المراحل المتقدمة من تطور الهوية العرقية وبين التقدير الذاتي والتوافق النفسي من جهةٍ أخرى، فالأشخاص الذين وصلوا لمراحل متقدمة من مراحل تطور هويتهم العرقية، ضلعوا في نشاطات ثقافية سياسية تعبر عن مضمون هويتهم وثقافتهم العرقية (Phinney, 1995). ومن هنا نرى بأن الهوية العرقية تلعب دوراً بارزاً، ومهماً في تحقيق التوافق النفسي، والتكيف مع البيئة التي ينتمي إليها. ويكون الالتزام بها بمثابة عامل يدفع نحو التكيف الذي يمنع الشعور بالتوتر، الناجم عن اضطهاد المجموعات الأخرى للأفراد الموجودين ضمن المجموعة العرقية، كما وأنها تعمل على منع استدخال الأفكار النمطية السلبية تجاه المجموعة التي ينتمون لها، ومنع استدخالها، وانعكاسها على مفهوم الأفراد لذواتهم، حيث شكل الوعي بهويتهم العرقية حصانة ومناعة نفسية ضد أشكال التمييز والاضطهاد الممارس ضدهم

(Makkawi, 2004). وبذلك ندرك أهمية الدور الذي يلعبه الانتماء لهوية عرقية على حياة أفراد هذه الهوية، وتخفيف حدة الآثار المترتبة على الاضطهاد الممارس عليهم من قبل الجماعات الأخرى. حيث تسعى هذه الجماعات المضطهدة جاهدةً للنضال من أجل الحفاظ على هويتهم، وتشكيل هوية إيجابية قادرة على التصدي لكافة أشكال الاضطهاد الممارس عليها، والمستنوت، من خلال تقوية شعور أفرادها بالانتماء والرضا عن عضويتهم لهذه الجماعة. ففي دراسة مكاي (Makkawi, 2004) الذي تناول فيها الأفكار المرتبطة بالهوية العرقية في سياق الهوية الوطنية الفلسطينية، أشار إلى أن انخراط الطلاب الفلسطينيين في النشاط الطلابي الفلسطيني للطلاب الملتحقين بالجامعات الإسرائيلية؛ يعزز من عملية تطوير الهوية الوطنية لدى النشطاء المعنيين، مما يعزز بدوره التكيف النفسي لديهم في بيئة سياسية معادية وتمييزية. وبذلك نرى بأن تعزيز الهوية الوطنية أو الاجتماعية، بالضرورة يعزز معه تكيف وتوافق الفرد مع سياقه، فهو جزء من هذا السياق، وبالتالي هو جزء من هذه الجماعة والهويات المشتركة والمركبة، فتطوير الحس النفسي بالمجتمع ذو الثقافة الجمعية يحمل معه بالضرورة إحساساً إيجابياً نحو الذات والآخر، يدفعه للتغيير والتطوير المجتمعي، لما يحمل ذلك الإحساس من مسؤولية ذاتية ومجتمعية.

الحرمان النسبي وعلاقته بحسن الحال

ويرى زيد (2007) بأن السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، فيه الكثير من المشاعر والعواطف والأحاسيس، التي تتراكم يوماً بعد الآخر، وسرعان ما يتعلم كيف يخفف من آلامه، وكيف يتغلب على المصاعب، والعقبات التي تواجهه في الحياة، ويدرك في الوقت نفسه ما يشعره بالراحة النفسية، وتتبلور من خلال هذه الأحداث صورة واضحة للفرد عن ذاته تدريجياً، وتتضح ملامحها للآخرين بازدياد الخبرات اليومية لتظهر أمام الفرد نفسه، وبذلك يتشكل عند الفرد مفهومه حول ذاته. فالسياق إذاً؛ يُعلم الأفراد كيف يخففون مما يعترضهم من أزماتٍ وتحدياتٍ ومعيقاتٍ، فقد نجد أفراداً اختاروا التعامل بهزلٍ مع ما يعترضهم من صعاب. متبعين بذلك نهج الفيلسوف الفرنسي برجسون (Bergson, 1924) والذي يحث الأفراد على التعامل مع المآسي بقدرٍ من اللامبالاة لتتحول المآسي إلى كوميديا، وبذلك يخففون من وطأةٍ وثقلٍ ما يواجههم من صعاب. وهذا

ما رأيناه في مشهد الأب السوري الذي علم ابنته الصغيرة الضحك لمجرد سماع دوي انفجار بفعل القذائف أو الصواريخ المنهالة عليهم؛ للتخفيف من هلعها وخوفها. وبعض الأفراد ينتهجون طرقاً وأساليباً أخرى، بما يناسب تشكلاتهم ورؤاهم الذاتية المنبثقة من سياقهم.

ومن هذا المنطلق نستطيع الربط ما بين الانتماء للهوية العرقية "الوطنية" أو "الاجتماعية" ومفهوم "حسن الحال" well-being، فحسن الحال لأي فرد من أفراد الجماعة يعتمد بصورة كبيرة على علاقاته الاجتماعية وعلى المجتمع الذي يقيم فيه. ويمكن تعريف هذا المفهوم بكونه الحالة الإيجابية التي يتم فيها تلبية الاحتياجات والتطلعات الشخصية والعلائقية والجماعية للأفراد والمجتمعات (Nelson & Prilleltensky, 2010). فتقرير المصير، والشعور بالسيطرة، والكفاءة الذاتية، والصحة البدنية والعقلية، والتفاؤل والمعنى والروحانية؛ هي مؤشرات وعلامات شخصية تشير إلى تمتع الشخص بالحالة المذكورة أعلاه بـ "حسن الحال"، ومؤشرات حسن الحال العلائقية المتمثلة ما بين الشخص ومحيطه الاجتماعي من علاقات اجتماعية تتمثل بوجود الرعاية والمودة والدعم والتعاون والمشاركة في صنع القرار (Evans & Prilleltensky, 2007). ويمكننا ربط هذا المفهوم "حسن الحال" بمفهوم التوافق ومفهوم الحرمان النسبي؛ فالتوافق يصحب معه بالضرورة سعي الفرد للتغيير في مجتمعه، والإسهام في تطوره. فهو لا يقتصر على أثره الفردي، بل يشمل تأثيره على المستوى الجمعي. وهذا ما تسعى الدراسة هنا لإبرازه، تبيان بأن حالة التوافق لدى زوجات الشهداء ليست مجرد تكيف مع محيطهن، بقدر ما هي شروع بتغيير الواقع والسعي الحثيث لمواجهة ما يعترضهن من معيقات وتجاوزها. حيث وصف روبرت (2004) مفهوم الحرمان النسبي بكونه حالة من التوتر؛ ناتجة عن وجود تناقض بين أوضاع الفرد أو جماعة معينة، وتطلعاتهم للحصول على الأمن أو حسن الحال أو تحقيق الذات.

ظهر مفهوم الحرمان النسبي ولأول مرة في دراسة وليامز وآخرون (Williams et.al, 1949)، فقد وجدوا بأن الضباط ذوي الرتب الأعلى الذين توقعوا الترقية ولم يحصلوا عليها شعروا بقدر أكبر من الحرمان النسبي من الجنود الذين لم تكن لديهم أية توقعات. لنخرج باستنتاج مفاده، أن الأفراد يتمردون على حالتهم ليس عندما يُحرمون بالمعنى المطلق، وإنما

عندما يشعرون بالحرمان بالنسبة لبعض الأشخاص أو المجموعات المقارنة. وعلينا التفريق ما بين مفهوم الحرمان النسبي الفردي والحرمان النسبي الجماعي، فالأول يحدث عندما يقارن الأفراد وضعهم بأفراد آخرين من مجموعتهم، والثاني يحدث عندما يشعر الأفراد أن مجموعتهم ككل محرومة مقارنة بالمجموعات الخارجية ذات الصلة (Makkawi, 2004). وتتمثل شدة الحرمان النسبي بمدى العاطفة السلبية المقترنة بإدراكه، أو بعبارة أخرى، بحدة السخط أو الغضب الذي ينبثق منه (روبرت، 2004).

دور الشهادة والدين في تقبل السياق المفروض

نقاشنا للمفاهيم السابقة، مفهوم الهوية الاجتماعية والتطورات النظرية ذات الصلة مثل تقدير الذات الجماعية والحرمان النسبي؛ لنحاول فهم تشكيلات الذات لدى زوجات الشهداء، فزوجات الشهداء جزء لا يتجزأ من سياقهن، وما يحدث في هذا السياق الاستعماري قد شكّل تغييرات على مستوى البني السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فحدث الشهادة قد أحدث تغييرات على البنية الاجتماعية والاقتصادية للأسرة الفاقدة لمعيها الرئيس، وهذا بالضرورة قد يُشكل فارق وتغييرات في حياة هؤلاء النساء؛ لامتلاك هذا الحدث "حدث الشهادة" أبعاداً دينيةً ووطنيةً. فالسياق المفروض على هذه الفئة، لا يقتصر على كونه سياق ذو ثقافة جمعية، فيكون للهوية الاجتماعية والوطنية دوراً مهماً في تشكيل بنيتها وتوافقها، وإنما هو امتدادٌ لكونه سياقاً ذو طابعٍ دينيٍّ أيضاً، يولي نسبةً كبيرةً من أفرادها أهميةً للدين، والذي قد يساهم بدوره في تشكل الذات وتشكل حالة من التوافق المجتمعي؛ بفعل إيمانهم بالقضاء والقدر. وقد حاولت بعض الدراسات والأدبيات تفسير هذا الإيمان وتبعاته على الفرد. كدراسة كاردنير (Kardiner, 1939) ودراسة خميس (Khamis, 2008)، حيث وضحت هذه الدراسات بأن قوة القدر يمكن تفسيرها بإزاحة لشخصية الشخص للآخرين، أو لعوامل خارقة بحيث تكون بمثابة القبول بدور الحياة. وافترضت دراسة روتر (Rotter, 1966) بأن هناك مركزين للتحكم والسيطرة في مجريات الأحداث، الأول داخلي ويتعلق بصفات الشخص التي يمتلكها، والتي تؤهله في المضي والاستمرارية والتغيير المستمر للأفضل، والثاني خارجي ويتعلق بعزو الأشخاص للأحداث لقوة خارجية وخارقة، أو لقوة القدر، ويرى بأن الأشخاص الذين يعززون مركز التحكم لديهم لقوة القدر، يمتلكهم حالة من السلبية والامتناع عن التغيير، لأن زمام الأمور بيد قوة خارجية، ولا يتحكمون بها. وهذا ما انتقدته ليفنسون (Levenson, 1976) حيث وضحت بأن المركز الخارجي الذي يتعلق بالقوة الخارجية أو القدر،

يُحفز الأشخاص للتغيير وتعديل الأوضاع، لإدراكهم بأن هناك قوةً تتحكمُ بمجرى الأمور، وبالتالي هناك إمكانية للتغيير.

مراجعة نقدية للأدبيات

تطرقنا لبعض الدراسات والأبحاث لفئة زوجات الشهداء، محاولةً بذلك دراسة هذه الفئة على المستوى الفردي الضيق، ففي دراسة ديرية (2019) والتي هدفت لمعرفة أساليب مواجهة الضغوط النفسية لدى زوجات الشهداء في محافظة الخليل، افترضت الباحثة فيها متغيرات قد تُشكل عاملاً لدى هؤلاء النساء في مواجهة ما يتعرضن له من ضغوطات، اعتماداً على مقاييس غربية، تم تعريبها وتطويرها بما يلائم الثقافة الفلسطينية. منتهجةً بذلك المنهج الوصفي الكمي. وخلصت هذه الدراسة إلى أن أساليب مواجهة الضغوط النفسية جاءت بدرجة متوسطة، بحيث كان هناك تأثير لـ "متغير" عدد الأبناء، ومكان السكن لصالح السكن المنفصل، وإلى عدم وجود تأثير يُعزى لـ "متغير" العمر والوظيفة والدعم الاجتماعي.

أما عن دراسة عابد (2008) فقد هدفت إلى الكشف عن علاقة الشعور بالوحدة النفسية لدى زوجات الشهداء بكل من المساندة الاجتماعية والالتزام الديني، كما هدفت للكشف عما إذا كان هناك فروق في مستوى الوحدة النفسية يُعزى لبعض المتغيرات الديمغرافية مثل المستوى الاقتصادي للأسرة، ونمط السكن، وعدد الأبناء، وعدد السنوات بعد استشهاد الزوج، إضافة للمؤهل العلمي للزوجة ومكان السكن. لتخرج بنتائج مفادها وجود علاقة ارتباط عكسية بين الشعور بالوحدة النفسية والمساندة الاجتماعية لدى زوجات الشهداء، وعلاقة ارتباطية بين الشعور بالوحدة النفسية والالتزام الديني، إضافةً لوجود فروق دالة إحصائية في مستوى الشعور بالوحدة النفسية تُعزى لكل من عدد السنوات لصالح سنيتين أو أقل، والمؤهل العلمي لصالح ثانوية أو أقل، ومكان السكن لصالح شمال غزة في بُعد فقدان التقبل والمحبة والاهتمام وبعُد العجز الاجتماعي.

في حين قام الباحثان النواجحة وعلوان (2008) بالتعرف على فاعلية برنامج إرشادي في خفض الضغوط النفسية لدى زوجات شهداء الحرب على قطاع غزة، ولاختيار "عينة" الدراسة قام الباحثان بتطبيق مقياس الضغوط النفسية على "عينة" مكونة من سبعة وتسعون "أرملة" من زوجات الشهداء، وذلك كعملية تشخيصية للوصول إلى زوجات الشهداء اللواتي حصلن على أعلى الدرجات

في مقياس الضغوط النفسية، وتم اختيار ستة وثلاثون زوجة، وتقسيمهن لمجموعتين متساويتين. وأسفرت النتائج عن وجود أثر وفاعلية للبرنامج الإرشادي في خفض الضغوط النفسية.

حاول الخضري (2018) دراسة العلاقة بين الأعراض النفسية والتعامل مع الضغوطات وعلاقتها بالصلابة النفسية لدى زوجات الشهداء، وافترض الباحث في ذلك مسبقاً طبيعة ونوعية الضغوطات النفسية التي تواجههن، والكيفية التي يتعاملن بها مع الضغوط، ولهذا استخدم مقياس جاهزة، منها مقياس الصلابة النفسية، ومقياس الأعراض النفسية. وأظهرت نتائج دراسته وجود علاقة ارتباطية عكسية بين الأعراض النفسية ودرجة التعامل مع الضغوط، ووجود علاقة ارتباطية طردية بين التعامل مع الضغوط والصلابة النفسية، وبأن زوجات الشهداء لديهن مستوى مرتفع من الصلابة النفسية، ومن التعامل مع الضغوط، ومستوى منخفض ومدني من الأعراض النفسية. وحاول "عزو" النتائج التي خرج بها إلى العوامل المحفزة لظهور مثل هذه النتائج، دون الاستماع لرواية هؤلاء النساء، ومعرفة حقيقة وصحة هذه العوامل، فبقيت مجرد افتراضات دون التوصل لحقائق واستنتاجات.

وتشير نعيصة (2015) في دراستها حول زوجات الشهداء في السياق السوري والتي هدفت لدراسة مستوى قوة الأنا وعلاقته بمستوى التوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من زوجات الشهداء في محافظة دمشق، تشير إلى وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين درجات مقياس قوة الأنا ومقياس التوافق النفسي الاجتماعي لزوجات الشهداء، ووجود علاقة بين متوسطات إجابات هؤلاء النساء على مقياس قوة الأنا وفق متغير عدد سنوات فقد الزوج لصالح زوجات شهداء فقدن أزواجهن لما يقارب أكثر من ثلاث سنوات. ووجود علاقة بين مقياس التوافق النفسي وفق متغير المستوى التعليمي لصالح زوجات الشهداء اللواتي كان مؤهلن العلمي إجازة جامعية.

في حين حاول المزيني (2018) معرفة مدى المعاناة النفسية لدى زوجات شهداء حرب غزة عام 2008 في ضوء بعض المتغيرات وأبعاد المعاناة النفسية، وتوصلت دراسته بأن زوجات الشهداء لديهن معاناة نفسية مرتفعة رغم مضي عامان على تلك الحرب، وتبين أن أعلى جانب فيه معاناة هو الجانب الوجداني الفسيولوجي، فالمعرفي، فالجدادي، وتبين بأن هناك علاقة بين معاناة هؤلاء النساء والوضع الاقتصادي وتعليم الزوجة وعمرها، في حين لم يتبين وجود علاقة في المعاناة تعزى إلى عدد الأولاد.

جُل هذه الدراسات التي تناولت فئة زوجات الشهداء، انتهجت في دراساتها منهج البحث الوصفي الكمي، والذي يقتضي بالضرورة الانطلاق بالفرضية من النظرية إلى الواقع المبحوث، فهي تفترض الحالة وتأتي لقياسها في هذا الواقع. وفي حديثي هذا، من الضرورة بمكان الإشارة لعدم انتقاصي من قيمة هذه الأبحاث الكمية، ولكن ما أريد إيصاله وما أؤمن به كباحثة فلسطينية، هو عدم ملائمة مثل هذه المنهجية لسياقنا الاستعماري. فالبحت الذي يتم إجراؤه في المجتمعات المستعمرة مثل الشعب الفلسطيني، بافترض معالجة العواقب النفسية لهذا الاستعمار، لا يمكن ولا ينبغي أن يكون بحثاً محايداً، أو بحثاً من أجل البحث (Makkawi, 2009). فهذه الأبحاث والدراسات تنتهج منهج الأبحاث الاختزالية الفردانية، البعيدة كل البعد عن البحث المجتمعي التشاركي. فالأولى والأجدر بنا كباحثين أن نعمل على تأسيس قاعدة معرفية ومنهجية في الكيفية التي تتناول الظواهر النفسية في السياق الفلسطيني؛ مراعيين بذلك خصوصيته الثقافية والاجتماعية والسياسية. وبذلك نكون قد أسسنا أرضية لإنتاج مقاييس نفسية تلائم سياقنا الفلسطيني ونابعة منه، بحيث تراعي وتنسجم مع طبيعة المتغيرات الاجتماعية والثقافية الفلسطينية. فأساليب البحث النوعي لا تتوافق مع القيم الأساسية وروح علم النفس المجتمعي فقط، بل يمكن أيضاً أن تكون بمثابة "تحرر" بواسطة العلماء والباحثين النقديين المهتمين حقاً بـ "حسن الحال" الجماعية للأفراد، واستعادة العدالة الاجتماعية (Makkawi, 2009). وهذه هي روحية علم النفس المجتمعي النقدي، الذي ينادي بضرورة الوعي النقدي للسياق الاستعماري، والابتعاد عن الأبحاث الاختزالية الفردانية، والممارسة بناءً على هذه الأبحاث في مجال الصحة النفسية المجتمعية، لحجم الفجوة الحاصلة بينهما. فطبيعة علم النفس الفردي الكلاسيكية تفترض وجود تجانس في السياقات، ولا تراعي الخصوصية السياسية الثقافية الاجتماعية لكل سياق، وكأن الأفراد يعيشون في سياق اجتماعي متجانس. فعملية الوعي النقدي في نهاية المطاف هي بحد ذاتها عملية تحرير نفسي وتعزيز للصحة النفسية (Freire, 1970).

فهذه الدراسة تحاول بناء معرفة بالتجارب والتحويلات النفسية والحياتية لزوجات الشهداء التي كان لها الدور الكبير في تشكيلات ذواتهن، والدور الذي يلعبه السياق الفلسطيني الاستعماري في ذلك. السياق ذو الطبيعة الجمعية، والذي فرض عليهن واقعا يحمل معه تحولات وتغييرات في البنية الاجتماعية والمجتمعية. فهو السياق الذي فرض عليهن تحولات في البنية الاجتماعية الاقتصادية تمثل في قيامهن بعدة أدوار، بتربية الأبناء وإعالة الأسرة؛ كونها المعيل الرئيس الآن في أسرتهن، وهذا قد يتطلب منها الخروج من حيزها الخاص المتمثل بالأسرة، إلى حيزها العام المتمثل في العمل

العام. وسياق سياسي كان له الدور الكبير في إضفاء معانٍ ورمزيات لفعل الشهادة، قد يُساعدها في النظر إلى حدث الفقدان بمعانٍ ورؤىٍ مختلفة.

وبناء هذه المعرفة المتمثلة فيما ذكرت سابقاً بالتجارب والتحويلات النفسية والحياتية لزوجات الشهداء التي كان لها الدور الكبير في تشكيلات ذواتهنّ، والدور الذي يلعبه السياق الفلسطيني الاستعماري في ذلك؛ لا يأتي من افتراضٍ مسبقٍ لـ "متغيراتٍ" فرضها الباحث على المشاركين في دراسته، كما فعلت الدراسات السابقة، بل يأتي من فهمٍ لطبيعة سياق المشاركين المركب، ومحاولة بناء المعرفة بناءً على روايتهم الخاصة والمنبثقة من هذا السياق وبفعله. فمناقشتنا للمفاهيم السابقة ما هي إلا محاولة "نظرية" لفهم طبيعة سياق المشاركات في هذه الدراسة، والاستماع لسردية ورواية هؤلاء المشاركات ما هو إلا "مفتاح" لفهم حقيقة هذا السياق ودوره في حياتهنّ وتشكلاتهنّ الذاتية.

الفصل الثالث:

منهجية الدراسة

- المنهجية المتبعة
- مجتمع الدراسة
- المشاركات في الدراسة
- إجراءات الدراسة
- معالجة وتحليل البيانات

المنهجية المتبعة

رغم تناول بعض الأدبيات والدراسات لزوجات الشهداء، محور الدراسة الحالية، إلا أن غالبية هذه الأدبيات لم تُراعي خصوصية السياق الفلسطيني، وانتهجت المناهج الكمية، متجاهلةً ثغرةً هذه المناهج من حيث تسطيحها للظواهر الانسانية، وتجريدها لمجرد أرقام، حيث تنحصر في معاملات ارتباط، وهو بدوره يُفقد الدراسة الكثير من العوامل التي تقسرها كما هي، وليس كما تعبر عنها هذه الارتباطات (كناعنة، 1978). بخلاف المنهج الكيفي، فهو يضع الباحث في الطريق الصحيح للفهم، والذي تعد فيه النظريات الذاتية للمجتمع هي المادة الحقيقية التي نريد الحصول عليها من خلال البحث والتي تُشكل فلسفة هذا المنهج (الصيداوي، 2001). فطبيعة المنهج الكيفي الشمولية تُضفي أبعاداً مهمةً للموضوع، كونها تُعزز فهم الموضوع استناداً لسردية المبحوث، وهذا يعطيه الأفضلية على البحث الكمي في كونه يعتبر المنهج الأنسب للظواهر التي يتم تناولها للمرة الأولى، لما يحقق من مساحةٍ كافيةٍ للباحث والمبحوث في دراسة المراحل الاستكشافية، ودراسة العوامل ذات التأثير للموضوع الذي يتم البحث فيه. وهذا هو السبب الرئيس في اختياري لهذا المنهج دون غيره، فالمنهج الكيفي يعطيني مساحة كافية لسماع سردية هؤلاء النساء، ويعطي النساء المساحة الكافية واللازمة لسردية صيرورة تجربتهن بالطريقة التي يلمسن فيها الفائدة لهنّ ولقضيتهنّ، والخروج من هذه السردية بما يخدم سياقنا الفلسطيني، من خلال استنباط مفاهيم ونظريات جديدة وذات معنى، وذات علاقة بهذا السياق؛ معتمدةً في ذلك على منهجية النظرية المجذرة في تحليل البيانات النوعية التي تم جمعها. فانتهاج المنهج الكيفي في قضية فقدان النساء لأزواجهنّ، ومراعاة السياق الاستعماري الذي سببه، والاستناد على سردية هؤلاء النسوة، والاستناد للنظرية المجذرة في تحليل البيانات عبر التفسير والتأويل، يساعدنا في بناء المعرفة، ومحاولة فهم للإجابة عن تساؤلات الدراسة بطريقةٍ معمقةٍ أكثر.

مجتمع الدراسة

تمثل مجتمع الدراسة بزوجات الشهداء، ممن قد مرَّ على استشهاد زوجها سنتان فأكثر، شملت مناطق ومحافظات فلسطينية متنوعة، من مناطق الوسط والجنوب (الخليل، جنين، رام الله، نابلس). وذلك بهدف التوصل لتصورٍ، وفهمٍ واضحٍ وشمولي

للصيرورة النفسية والاجتماعية لهؤلاء النساء. من خلال سرديات هؤلاء النساء الخاصة، والتي تُصَبُّ في معرفة ودراسة الدور الذي يلعبه السياق الفلسطيني في تشكيل بناء ذواتهن، والتعرف على دور هويتهن الاجتماعية كنساءٍ وأمّهاتٍ وأرامل فلسطينيات في تشكيل حالة من التوافق لديهن، وتعزيز دورهن المجتمعي.

المشاركات في الدراسة

شاركت في هذه الدراسة مجموعة من زوجات الشهداء، ممن فقدن أزواجهن خلال فترة تتراوح ما بين عامٍ إلى عشرة أعوامٍ، والبالغ عددهن عشر نساء. اعتمدت في هذه الدراسة استخدام مبدأ اختيار العينة الشبكية، أو عينة كرة الثلج، فقد قمت بالتواصل مع المشاركات من خلال مشاركاتٍ سابقات، فكلُّ مشاركةٍ كانت بمثابة حلقة وصلٍ مع مشاركةٍ أخرى. حيث توزعت المشاركات ما بين المحافظات على هذا النحو الآتي: مشاركة من قرية برقاً قضاء رام الله، مشاركة من بلدة صرة قضاء نابلس، ومشاركة من مخيم بلاطة، أربع مشاركات من بلدة بيت أمر قضاء الخليل، مشاركتان من مخيم جنين، ومشاركة من بلدة فقوعة قضاء جنين. لم تكن هؤلاء النساء بالنسبة لي مجرد مشاركاتٍ، أو "أفراد عينة" مع تحفظي الكامل على هذا المصطلح، والذي يُظهرهن كأشخاصٍ في محطة تجارب، دون مراعاة لإنسانيتهن، وخصوصيتهن؛ بل كنَّ مشاركاتٍ، ودافعات أساسيات لهذه الدراسة، ولولا تعاونهن في الحديث بكل أريحيةٍ وشمول، لما خرجت هذه الدراسة للعيان، ولم استطعتُ اتمامها. وعند الحديث عن الإتمام لا أقصد اتمامها بدافع التخرج، والخلاص من العبء الأكاديمي، ولو كان هذا الدافع الأساسي لما أتممتها، ولكن أتحدث عن الدافع الذي خَلَفْتَهُ بداخلي، الدافع بإيصال أصواتهن، والدافع بإظهار قوتهن، وبكم التجارب التي مررن بها، وكم المعاني التي نستطيع الخروج بها عند قراءة سرديتهن. في كل مقابلة، كنتُ أتواصلُ نفسيًا مع كل واحدة، وكأنها تتحدث بصوتي، تتحدث عن تجربتها، وتلمع عيني فخراً وتواصلًا بكل حرفٍ تنطقُ به. عند الاستماع لسرديتهن أشعرنني بالفخر لكوني امرأةً أولاً، ولكوني قادرةً على النهوض في ظل زخم التحديات والصعوبات التي نواجهها كنساءٍ ثانيًا، هذا الفخر لم يتأتى من فراغ؛ فالتواصل الذي لَمَسْتُهُ نابع من كوننا نحمل نفس الهوية، هويتنا كنساء فلسطينيات في ظل مجتمع لا يراعي أدنى اعتبار لنا. امتدت هذه المقابلات ما بين ساعةٍ إلى ساعةٍ ونصف، وبعضها تجاوزت الساعتان. في بعض المقابلات كان حديث

المشاركات فيها مقتضب مقارنة بالمشاركات الأخرى، وكان ذلك نتيجة وجود أشخاص آخرين معنا خلال المقابلة، لذلك في المقابلات اللاحقة تجنبنا وجود أي أحد معنا في المقابلة، بحيث تشعر المشاركة بالراحة، وتحدث بأريحية وشمولية معتادة. تبدأ المقابلة بسؤال تعريفي شامل عنها، وعن حياتها، وغالباً يُفهم عرفاً أنفسهن من البداية بـ "زوجة شهيد" أولاً، وبعدها أولادهن وأعمارهم ثانياً. وذلك يحيلنا حول الهوية التي يُدركن أنفسهن بها، وبكونها تُشكل الأولوية المفصلية في حياتها. أعطيت المشاركات كامل الحرية بالكيفية التي يُردن البدء بها، بعضهن استطعن البدء بمجرد تعريفهن بموضوع الدراسة، وهدفها منها، دون توجيههن. والبعض ارتأيت البدء معها بمشاركتنا بتفاصيل التجارب التي خاضتها من لحظة استشهاد زوجها لغاية الآن، والحديث عن لحظات استشهادها، ومشاعرها، وسلوكها خلال الأسابيع واللحظات الأولى من استشهادها، بعضهن شملن الكثير من تفاصيل التجارب التي مررن بها، واستطعن تغطية المحاور التي حاولت تغطيتها دون سؤالي لها عنها. وبعضهن سألتهن عن هذه المحاور كتعليق ومداخلة أثناء حديثهن. والمحاور كانت كالآتي:

- علاقتها السابقة مع زوجها.
- شخصيتها قبل استشهاد زوجها وبعده، والفروقات التي لمستها في شخصيتها خلال هذه المدة.
- نظرتها ومفهومها حول ذاتها.
- دور أهل زوجها، وأهلها في حياتها بعد استشهاد زوجها.
- مفهومها حول وجود أولادها في حياتها، والمعاني التي تستمدتها من وجودهم.
- الدور المؤسساتي ببعديه المادي والنفسي.

حاولت التركيز في نهاية المقابلة حول سؤالهن عن المقابلة، ماذا أضافت لهن، وماذا شعرن خلال هذه الساعة. الكثير منهن عبرن عن استغرابهن من طبيعة المقابلة، واختلافها عن المقابلات الأخرى؛ حيث استطعن خلال هذه المقابلة الاستماع لذواتهن جيداً، واستذكركن كافة التفاصيل التي مررن بها، وقاسين جرائها، وكيف استطعن الآن النهوض، والوقوف من جديد. عبرت إحداهن بأنها لم تفكر للحظة بنفسها بهذه الطريقة، ولم تفتخر بنفسها كما تفتخر بها الآن، وكأنها ولأول مرة تسمع صوتها الداخلي، وتعي وتقدر ذاتها،

وما تملك من إمكانيات وقدرات على المواصلة رغم كل شيء. عبرتُ أخرى عن بكائها، ولأول مرة أمام أحدٍ يسألها عن تجربتها مع استشهاد زوجها، حيث شعرت بأنَّ هذه المرة مختلفة عن المرات السابقة، وبأنني هنا أريد سماعها هيَّ، أريد الاستماع لتفاصيل عنها، تخصصها هيَّ، وبما مرت وشعرت به، وعاشته. وعبرتُ إحداهنَّ عن ذلك، بكون هذه المقابلة حاولت التطرق لمكانن ومحطات لم يتطرق لها أحد، محطات تُبرز فيها كم التحديات، والتحويلات في حياة هؤلاء النسوة، وكم المشاعر المصرح لها بالتعبير عنها، والمشاعر التي تُجبر على التعامل معها بحذرٍ شديد، وأحياناً بكبتٍ شديد.

وهنا تعريف بالمشاركات العشر:

هنا وجب التنويه بأنَّ أسماء المشاركات حقيقية، بعد استشارتهنَّ وعدم إبداء أيِّ اعتراض على ذلك. وإصراري على ذكر أسمائهن نابعٌ أولاً من اعتزازي كامرأة فلسطينية بتجربتهنَّ، ونابعٌ أيضاً من حرصي على إظهار قوتهنَّ واعتزازهنَّ بأنفسهنَّ، دون حرجٍ أو ضعف. وهذا يُشيد بامتلاكهن لحسٍ جمعي بإيصال صوتهنَّ للنساء الفاقديات لأزواجهن أولاً للاستفادة مما عيشنَّ من تجاربٍ وظروفٍ متشابهة، وإيصال أصواتهنَّ للمجتمع ثانياً وبكافة شرائحه، ليعيَّ حجم المعاناة والصراعات والتناقضات التي يُحدثها في حياة هؤلاء النساء، لما يُشكل من عواملٍ دعمٍ وتثبيطٍ في الآن نفسه.

أولاً: تغريد، سبعةً وثلاثون عاماً، أمٌ لفتاةٍ تبلغُ من العمر تسع سنوات، مرت ثمان سنوات على استشهاد زوجها. تعمل ممرضة، وتكمل دراستها في جامعة القدس. وتعيش مع أهلها. استشهاد زوجها عام 2012 في اشتباك مع مستوطنين أرادوا السرقة وقتها، تمت اصابته، واستشهد بعد اصابته بأسبوعين. استشهاد بعد سنة ونصف من الزواج، وكانت حياتهم "حلوة" بحسب قولها. قبل أيام من استشهادها كان يُلمح بموته، وكأنه أحس بقرب مواعده، وبأنه سيفارق الحياة عما قريب. تعرضت لضغوطات من أهل زوجها، وعرضوا عليها الزواج من شقيق زوجها "سلفها" ورفضت ذلك. وأضافت بأن طبيعة عملها كممرضة يتطلب منها الخروج بشكلٍ دائمٍ، ما عرضها لتدخلات مزعجة من أهل زوجها، ولكنها كانت ترفض "التحكّم" في حياتها من أيِّ أحدٍ، فقد كان زوجها متفهّمٌ لطبيعة عملها، ولم يكن يتحكّم بها آنذاك. عرض عليها أهل زوجها الزواج ليضمنوا وجود ابنة ابنهم بجوارهم، وليضمنوا امتلاكهم لكافة المستحقات المالية التي تُصرف لعائلة الشهيد. فقد تم استغلال

وضعها، وحالتها النفسية "الشبه مغيبة عن الواقع" في أول أسبوعٍ على استشهاد زوجها، وتم أخذها من قبل إخوة زوجها إلى البنك لثوق على أوراق لم تقرأها، لتكتشف فيما بعد بأنها أوراق تقتضي تنازلها التام عن مبلغٍ تم إضافته لرصيداها من قبل الحكومة. ولم يكتفوا بذلك، حيث حرصوا على "سرقة" كل الأموال التي كانت تأتي لابنتها، ويضعونها في جيوبهم دون الرجوع لها، وإعطائها حق ابنتها. كانوا يتعاملون مع ابنتها كورقة ضاغطة عليها لتخضع لمطالبهم دون عناد؛ وهذا الاستغلال، وهذه المعاملة دفعها لترك منزلهم، والرجوع لمنزل عائلتها، والمكوث عند أهلها لهذه اللحظة. فهي تعيش الآن مع والدها ووالداتها لوحدهم، وتعيّلهم وتعيّل ابنتها ذات التسعة أعوام، هي سعيدة الآن، ومرتاحة نفسيًا، فهي ترى نفسها إنسانة مستقلة، قادرة على إعالة أسرتها، وتعد مرجعية لأهلها في كل كبيرة وصغيرة. ولكن ذلك لم يمنع والدتها من الضغط عليها للزواج، استمرت والِدَاتُها على هذا النحو لفترةٍ طويلةٍ، ولكنها سرعان ما استسلمت لرفض وعناد تغريد.

ثانيًا: سناء، ثلاثة وأربعون عامًا، أمٌ لثلاث فتيات، مرت ثمانية عشرَ أعوامٍ على استشهادها، تعمل سكرتيرة بمدرسة ياسر عرفات، من سكان قرية صرة قضاء نابلس. تعيش بمنزل مستقل مع بناتها، وبالقرب من ابنتها المتزوجة. استشهاد زوجها عام 2003، كان مناضلاً ومطاردًا من قبل جنود الاحتلال لسنواتٍ عديدة، ومن المتوقع استشهادها في كل لحظة. واجهت صعوبات كبيرة من أهل زوجها فيما يتعلق بالأمور المادية والميراثية، فلم تجد دعم من أهل زوجها، وتعرضت لضغوطات منهم. حاولت جاهدةً توضيح احتياج بناتها للاهتمام والحنان من قبل جدهن "والد والدهن" أكثر من احتياجهن للأمور المادية، ولكن دون جدوى. تم استغلال وضعها لأنها "أم البنات" كما قالوا لها، فحاولوا أخذ حصتهن الميراثية، ولكن لم يتمكنوا من ذلك لوقوفها بوجههم، وإصرارها على المحافظة على حقوق بناتها. الظروف دفعتها للموافقة على خطبة ابنتها الكبيرة وهي في سنٍ صغيرٍ "الصف العاشر" من ابن عمها، لحاجتها لرجل يقف بجانبها بحسب قولها، حيث رأت فيه صفات، وملامح من زوجها الشهيد ما حفزها على الموافقة أكثر. فهي ترفض الزواج بالمطلق، ولكنها احتاجت لرجلٍ يساندها، وتحديدًا في السنوات الأولى من استشهاد زوجها؛ ما دفعها للموافقة على تزويج ابنتها. سناء الآن أمٌ لطببتيان، حيث حرصت على تحقيق حلم زوجها في رؤية بناته بأعلى المراتب العلمية. سناء ما زالت إلى الآن تستحضر مواقف لزوجها

وكانه معها الآن، فهو حاضر دائماً معها ولم يفارقها للحظة. وهذا ما لمستته من تأثر واضح عند الحديث عن لحظة استشهاده.

ثالثاً: سميرة، تسعة وأربعون عاماً، أم لفتاتين وقتي، مرت سبع سنوات على استشهادها، معلمة متقاعدة، من سكان بلدة بيت أمر قضاء الخليل. استشهد زوجها عام 2014، خلال حرب غزة، حيث استشهد برصاص الاحتلال خلال مسيرة مناصرة لقطاع غزة. كانت علاقتهم قوية جداً، وما زال حاضرًا معها في كل لحظة، فقد كانت معتمدةً عليه بشكل كبير، حتى على مستوى شراء "رَبطة خبز" كان هو من يقوم بهذا بحسب قولها. لاقت دعم ومساندة من أهل زوجها بشكل كبير، ولم يُشكلوا عليها أيّ ضغوطاتٍ، سواءً ضغوطاتٍ مادية أو ضغوطاتٍ تتعلق بموضوع الزواج. هي الآن متقاعدة نتيجة وضعها الصحي، ومفرغة لأبنائها واحتياجاتهم. بدا المرض والكبر عليها بشكل كبير، وهذا كله نتيجة مرارة فقدان الذي خلفه استشهاد زوجها، حيث لم أجد زوجةً متأثرةً باستشهاد زوجها إلى هذا الحد من الألم، وهذا يُظهر حجم الرابطة القوية التي كانت تجمعهم. ويبرز حجم العبء الذي وقع على كاهلها نتيجة فقدانها، عبء التربية، وعبء إعالة أسرتها، وعبء إخفاء مشاعرها عن أبنائها.

رابعاً: سماح، ثلاثون عاماً، أم لثلاثة أبناء، مرت ثمان سنوات على استشهادها. استشهد زوجها عام 2014، خلال مسيرة مناصرة لقطاع غزة. تزوجت منه بعد انتهاء المرحلة التوجيهي مباشرةً، لذلك فقد قضت سنواتها الأولى من الزواج في دراستها، واستشهد بعد تخرجها بسبعة شهورٍ، لذلك ترى بأنها لم تقضي معه وقتاً كما كل الأزواج. وقت استشهادها كانت أم لوليدٍ وبنيتٍ وحاملٌ في شهورها الأخيرة، ورفضت العمل خلال هذه الفترة (الفترة الأولى من استشهاد زوجها). زوجها كان مناضل ومطارد، لذلك كان مستهدف من قبل الاحتلال بشكلٍ دائمٍ، وتحدثت عن مخاوفها الدائمة قبل استشهادها من مداممة الجيش المتكررة والمفاجئة في كل الليالي، ما دفعها للنوم عند أهل زوجها تجنباً لمدامتهم المرعبة في الليل. تزوجت بعد استشهادها بسنةٍ كاملةٍ من شقيق زوجها "الأسير المحرر" بعد الإفراج عنه، جاء زواجها نتيجة تعرضها لضغوطات خارجية متمثلةً بـ "كلام الناس" عنها وعن شقيق زوجها، فقررت إنهاء هذه المعاناة، وتكميم أفواه الناس. عدا عن العبء الواقع عليها والمتمثل بتربية ثلاثة أبناء، وخوفها من تبعات هذه المسؤولية، فرأت بأن

الزواج سَيُخَفِّفُ عنها هذه المسؤولية. حيث ترى بأن الزواج يُشعرها بالهدوء، والراحة، وبأن الحياة تُصبح أبسط، وأقلّ وطأة في ظل وجود الزوج.

خامساً: فاطمة، خمسة وثلاثون عامًا، أمٌ لثلاثة أبناء، مرت ثمان سنوات على استشهاد زوجها، درست للصف الثاني عشر فقط. استشهاد زوجها عام 2014 في حرب غزة، صارحها قبل أسبوعٍ من استشهاده بأمنيته في الشهادة. كانت علاقتهم قوية جدًا، وقامت بتعليمه القراءة والكتابة بناءً على طلبٍ منه ليستطيع قراءة القرآن. استطاعت فاطمة بناء بيتٍ لها ولأبنائها، من خلال الراتب الذي يُصرف لهم من الحكومة، كمستحقاتٍ للشهيد، ومن أهل الخير بحسب قولها. فاطمة الآن مرتاحة نفسيًا، واجتماعيًا، ولا يشغل بالها سوى القدرة على تربية أبنائها، وتعليمهم.

سادسًا: زينب، ستة وعشرون عامًا، أمٌ لثلاثة أبناء، مرت ثمان سنوات على استشهادها، من سكان بلدة بيت أمر قضاء الخليل. كانت حُبلى بالشهر السادس حين استشهد زوجها، تزوجت بعمر الستة عشر عامًا. تم اعتقاله قبل استشهادها، وبعد الإفراج عنه كان مطارداً من قبل الاحتلال الاسرائيلي. عانت وما زالت تعاني من أهل زوجها، بالبدائية، حاول والد زوجها نزع الوصاية منها عن أموال الشهيد، لتكتشف فيما بعد بأن كل الأموال المحفوظة بالبنك باسم ابنائها، لم يتبقى منها شيء، حيث استطاع سحب هذه الأموال كلها. عدا عن اصرارهم المتواصل والحديث على طردها من بيتها، فمكثت في بيت أهلها لمدة عامين، ولكنها عادت لبيت زوجها خوفًا من حرمان ابنائها حقهم في بيت والدهم، وخوفًا من حدوث قطيعة بين أهل زوجها وأبنائها. زينب ترى بأن ما حصل لها أكبر من عُمرها بكثير، ومع ذلك استطاعت التغلب على كل الصعاب، ومواجهة كل ما تتعرض له من مضايقات سواءً من أهل زوجها، أو من غيرهم.

سابعًا: ختام، خمسة وخمسون عامًا، أمٌ لستة أبناء، مرت تسعة عشر عامًا على استشهادها، معلمة على رأسها عملها، وتُعلم مادة التربية الإسلامية، من سكان قرية فقوعة قضاء مدينة جنين. استشهاد زوجها عام 2002، كانت علاقتهم "ممتازة" بحسب قولها، لم تكن تعمل سابقًا؛ وذلك لرفض زوجها فكرة عملها، لذلك فقد كانت معتمدةً عليه بشكلٍ كامل. أخذ أبنائها كفيفٌ منذُ صغره، ما ضاعف من العبء عليها، وأثقل من جملها ومن المسؤولية الملقاة على عاتقها؛ حيث كانت وزوجها يتقاسمون هذه المسؤولية، ويساندون بعضهم

البعض. أما بعد استشهاده فقد تضاعف ذلك عليها، خاصةً مع امتلاكها مسؤولية تربية وإعالة الأسرة بكاملها. ختام، امرأة هادئة وخجولة جدًا، ونادرًا ما تتكلم مع أحد، وقد كان حديثي معها، بمثابة "نادرة من النوادر" كما تقول إحدى المعلمات التي كانت موجودة معنا خلال المقابلة، فهي شخصية كتومة جدًا، ولم تُحدث المعلمات بقصتها طيلة تواجدها بالمدرسة.

ثامنًا: شريفة، اثنتان وخمسون عامًا، أمٌ لستة أبناء، مرَّ اثنتان وعشرون عامًا على استشهاده، درست للصف الرابع فقط، من سكان مخيم جنين. ابنها يدرس تلميذ في عامه الثالث، وقد أبدت فخرًا واعتزازًا بدراسته، وبناتها الثلاث متزوجات. استشهد زوجها خلال اجتياح المخيم، حيث كان يعمل في الأمن الوطني، وحدث اشتباك بينهم وبين الجيش الإسرائيلي. كانت علاقتهم جيدة، وترى بأنه كان يُخفف عنها حملًا كبيرًا. فغيابها أجبرها على القيام بعدة أدوار في آن واحد. استشهد زوجها خلال فترة قاسية على المخيم، وتبعه أوضاع أشد قساوةً، بحسب قولها. حيث فقدت خمسة من إختها، وأجبروا على مغادرة بيتهم إلى حين انتهاء هذه الأوضاع؛ لذلك لم تشعر حينها بغياب زوجها فقط بل توزع الألم، والوجع لديها ما بين أوضاع المخيم المريرة، وفقدانها لزوجها، وإختها الخمسة. فأحداث المخيم كانت كفيلةً بنسيان الإنسان لألمه الفردي بحسب قولها، وتحاول نسيان ما عانت وتعاين من خلال خلق أجواء مفرحة ومازحة، ولكن اليوم وبعد تزويج جميع بناتها تشعر بالوحدة، والحنين لوجوده معها.

تاسعًا: مها، واحدٌ وأربعون عامًا، أمٌ لأربعة أبناء، مرَّ اثنتان وعشرون عامًا على استشهاده، درست للصف الرابع فقط، من سكان مخيم جنين. استشهد زوجها أثناء اجتياح مخيم جنين، وأصيبت أثناء ذلك بشظية، ما دعاها للمكوث في المستشفى أربعة عشر يومًا فلم تتمكن من توديعه، وإلقاء نظرة الوداع على جثمانه. لذلك كانت صدمتها قويةً حين استفاقتها من الغيبوبة، ولم تتجاوب مع حدث فقدان إلا بعد شهرٍ من التدخلات النفسية. ابنها الأكبر متزوج، ويعاني من مشاكل صحية متمثلة في شحانات كهربائية زائدة. ابنها الأصغر أربعة وعشرون عامًا، أسيرٌ في سجون الاحتلال الإسرائيلي. ابنتاها ما زالتا في أوائل العشرينات، وتخاف أن يحدث لها أيُّ مكروه، وتتركهن لوحدهن.

عاشراً: كفاح، أربعة وخمسون عامًا، أم لوليد وبنت، مرت إحدى عشرة أعوام على استشهاد زوجها، تعمل عضو مركزي في حركة فتح، من مخيم بلاطة، وحاليًا سكان بلدة بيرزيت. استشهد زوجها في الإبعاد، في الجزائر، بعد صراعٍ طويلٍ مع المرض. كان زوجها قائدًا لمحاصري كنيسة بيت لحم، لذلك تم إبعاده على الجزائر، واستشهد بعد إبعاده بثمان سنوات، وله تاريخٌ حافلٌ بالنضال، لذلك يعتبرونه شهيدًا. كفاح لم تُعاني من مضايقات مثل باقي المشاركات؛ بحكم مكانتها الاجتماعية والوطنية، باعتبارها عضوًا في حركة فتح.

بناءً على ما سبق من تعريفاتٍ لهؤلاء النساء المشاركات؛ نستطيع القول بأن أعمارهن تتراوح ما بين ستة وعشرون إلى خمسة وخمسين عامًا، وقد مرَّ على استشهاد أزواجهن مدةً تتراوح ما بين ثمان سنوات إلى اثنتي وعشرين سنةً. خمسُ مشاركاتٍ يعملن في وظيفةٍ ثابتة، وواحدةٌ منهن متقاعدة، وأربعةٌ مشاركاتٍ لا يعملن بحكم افتقارهن لمؤهلٍ علميٍّ. جميع المشاركات أمهات، ورفضن الزواج ثانيةً باستثناء مشاركةٍ واحدةٍ تزوجت من شقيق زوجها. واحدةٌ منهن لديها ابنٌ كفيف، وأخرى لديها ابنٌ مريضٌ وآخرٌ أسير. ثلاثُ مشاركاتٍ مررن بتجربة الولادة بعد استشهاد أزواجهن بأشهرٍ. جميع المشاركات أثنين على علاقتهن السابقة بأزواجهن، وثناءً مضاعفٌ على طبيعة الشخصية التي تحلى بها الزوج، باستثناء المشاركة التي تزوجت ثانيةً فقد كانت حذرةً في ذلك، ولم تُشيد لمآثره بقدر محاولتها إبراز طبيعة وهيئة الحياة "الغير هادئة" التي كانت تكتنف حياتهم الزوجية بحكم نضاله الدائم. خمسُ مشاركاتٍ فقدن أزواجًا مقاومين ولهم باعٌ طويلٌ في العمل النضالي والفدائي؛ ما استدعى حياةً سابقةً يلموها تنبؤاتٌ دائمةً باستشهاد الزوج، وتهديداتٍ واقتحاماتٍ ليلية من قبل جنود الاحتلال انتهت باستشهاد أزواجهن. جميع المشاركات يسكنن في سكنٍ منفصلٍ عن عوائلهن وبرفقةٍ أبنائهن، باستثناء مشاركةٍ تسكن مع أسرتها برفقة ابنتها الوحيدة، ومشاركةٍ تسكنُ بمحاذاة أهل زوجها ما يعرضها لمضايقات متواصلة من قبلهم. أربعُ مشاركاتٍ تعرضن لتضييقاتٍ ومحاولاتٍ للاستغلال، ونهبٍ مستحقات أزواجهن الشهداء من قبل أهل الزوج. مشاركةٌ واحدةٌ خاضت تجربة الابتعاد عن زوجها بحكم إبعاده خارج فلسطين واستشهاده هناك.

إجراءات الدراسة

بناءً على ما ذكرته سابقاً، فقد قمت بإجراء مقابلات كيفية معمقة، تعتمد على سردية المشاركات لما مررن به بأثر رجعي؛ لكي أتمكن من معرفة الصيرورة التي مررن بها، والرجوع بهن من لحظة الاستشهاد إلى يومنا هذا. وبذلك نتمكن من بناء معرفة حول تجاربهن وتشكلات ذواتهن، وفهم العوامل التي شكّلت لديهن حالةً من التوافق النفسي والمجمعي؛ بحكم قدرتهن على رؤية وإدراك تحولاتهن، وما حملن من قضايا غنية ومتشابهة ومتنوعة. فقد قمت بتسجيل المقابلات التي أجريتها مع المشاركات صوتياً، بعد الاستئذان منهن؛ لضمان عدم نسيان، أو إضاعة أية أفكارٍ تتطرق لها هؤلاء المشاركات. ومن ثمّ فرغت هذه المقابلات المسجلة بشكلٍ حرفي، وباللغة المحكية للمشاركات، لضمان إيصال الفكرة، بالمضمون الذي أرادت المشاركات إيصاله؛ وبذلك أكون قد حصلت على صورةٍ شاملةٍ وواضحةٍ عن التجارب التي عايشنها.

معالجة وتحليل البيانات

جرت عملية معالجة وتحليل البيانات التي حصلت عليها من خلال المقابلات؛ باستخدام خطوات النظرية المجذرة *Grounded Theory*، والتي تعتمد على تشكيل محاور الدراسة من خلال استنباطها عن طريق البيانات التي حصلت عليها من المشاركات. فقد قمت بالتعمق في وجهة نظر المشاركات بشكلٍ استقرائيٍّ (من الواقع إلى النظرية)، وذلك بعد إبراز الجوانب المشتركة عند المشاركات. ومن ثمّ عدتُ بها إلى النظرية؛ لمعرفة أين تدعم النظرية طبيعة النتائج التي توصلتُ إليها من المشاركات، وأين اختلفت معها. وبعدها وضعتُ هذه الجوانب في عناوين وتصنيفاتٍ ليسهل عليّ التعاطي معها، وإعطائها معنى. فقد قسمتُ البيانات إلى عناوين، من خلال استخدام وتعابير المشاركات، بحيث استخدمتُ تعابيرهن الخاصة، ولغتهن المحكية في التعبير عن هذه المفاهيم؛ وهذا ما يسمى بالترميز المفتوح. ومن ثم يأتي الترميز المحوري، وفيه قارنتُ نقاطَ التقاء البيانات المجموعة من المشاركات، ونقاط اختلافها ضمن مستويات من التحليل. ليأتي أخيراً الترميز الانتقائي، وفيه وضعتُ ما تشابه بين جميع المشاركات تحت محاورٍ عبرتُ عن التشابه. وبناءً على ذلك، خرجتُ الدراسة بثلاثة محاور على النحو الآتي:

- حدث فقدان، وما يحمل من ضغوطات.
- الهوية الاجتماعية لزوجات الشهداء، والتقاطع المجتمعي.

• السياق الفلسطيني، والترابط المجتمعي.

وهذا ما سأطرقُ له في الفصل الرابع، في الحديث بتفصيلٍ أكبر حول هذه المحاور.

الفصل الرابع:

نتائج الدراسة

- حدث الفقدان، وما يحمل من ضغوطات
- الهوية الاجتماعية لزوجات الشهداء، والتقاطع المجتمعي
- السياق الفلسطيني، والترابط المجتمعي

عرض النتائج ومناقشتها

أظهرت سرديّة المشاركات، العوامل التي شكّلت وعززت لديهن قوة التحمل والصلابة النفسية، ما ساعدهن في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي، المتمثل في قدرتهن على مواجهة وتجاوز ما تعرضن ويتعرضن له من ضغوطات مجتمعية. وهنا سوف أوضح أبرز آليات تشكّلات الذات، وحالة من التوافق لدى زوجات الشهداء، استناداً لما سردنه. حيث سأستعرض المحاور الرئيسة التي انبثقت من تحليل المقابلات وفي كل محورٍ سوف أظهر السرديات التي ساهمت في بنائه. مع القليل من الإضافات والتوضيحات حول أقوالهنّ، ومن ثم سأناقش هذه النتائج، باستفاضة أكبر، مستعرضةً أبرز النظريات والدراسات المفسرة التي تساهم في تحليلها. كما هو آت:

أولاً: حدث الفقدان، وما يحمل من ضغوطات

شكل الحدث فارقاً أساسياً في شخصية هؤلاء النسوة، لما تبعه من ضغوطاتٍ وتحديات، مكنتهن من بلورة شخصياتهن من جديد، بما يتلاءم مع طبيعة الحدث، وبما يتطلب من قوةٍ وتحمل. وهذا ما تطرقت له تغريد في حديثها عن طبيعة شخصيتها القوية، التي شكّلت وتعززت بفعل ما مرت به من أحداثٍ وتحديات، بقولها:

"كل هاي الأحداث بما فيها من تحديات وصعوبات وكيف أنا وقفت بمواقف لحالي، وكيف إنه قدرت إنه يا أكون أو لا أكون حرفياً، فلازم أكون قوية، وطبعاً الشخصية بتلعب دور، فممكن أنا ما كنت كثير من زمان أفهم شو هي شخصية تغريد، بس بعد هذا الحدث لا تبيّنلي (تظهرلي) إنه لا والله انت يا تغريد قوية وأنا من النوع اللي إذا عرفت اشئ من حقي فمستحيل أفرط فيه واستسلم، بوخذ اللي بدي إياه بالحق مس بالسليطة".

واستطردت في الحديث لتشير إلى تبعات هذه القوة عليها، وعلى محيطها الاجتماعي، بقولها:

"وهذا الاشئ أثر عليّ في شغلي والحمدالله قوية بشغلي، وبرضو هاي الشخصية اكسبتني محبة ناس كثير، وأنا بأمن إنه قد ما الواحد يحكي أنا

بدي أنمي شخصيتي وأطورها وأبنيها أوك كل هذا يساعد بس إنك تمرى
بظروف وتمرى بتجارب بتحس إنه نمت شخصيتك لحالها"

حيث ترى تغريد بأن قوة الشخصية لا يدركها الفرد مَنَّا إلا إذا خاض العديد من التجارب
والمواقف، والتحويلات التي يستطيع من خلالها تشكيل وإدراك لهذه القوة وهذه الإرادة.

وتعزز سناء دور الحدث في إبراز قوتها، وضرورة فرض شخصيتها، في الوقت الذي تجد
فيه رفض كبير من المحيط، لمطالبتها بحقوقها وحقوق بناتها، وترى بأن هذه القوة التي
لديها الآن استمدتها من زوجها الشهيد، بقولها:

"الوضع اللي أنا فيه قواني، لأنه كلهم بدهم إياك ضعيفة وقاصر، بس أنا
أخذت قوتي منه، من زوجي، يعني كان هو الوحيد الي يناقش بجرأة، حتى
أغلب المواقف بحكي للبنات كان أبوكم هيك هيك، ويعمل هيك وما يسكت
على الغلط".

لتشرح لنا تبعات هذه القوة عليها وعلى تعامل المحيط الاجتماعي معها:

"حتى أهلي صرت أحكي مع أبوي وصرت عنده خط أحمر، يعني بنزل
عندهم بكون معصب بس يشوفنا بصير يضحك، وكثير متعلقين فيه وهو
متعلق فيهم، وهذا الاشي حلو".

وتُنثني على قولها، المشاركة فاطمة التي ترى بأن فقدانها لزوجها فرض عليها واقعاً مليئاً
بالضغوطات النفسية والاجتماعية، وهذه الضغوطات وما تحمل من عبء كان لها الدور
الكبير في إبراز وتعزيز ثقتها بنفسها، وما تحمل من قوة وتحدي، للتصدي لكل هذه
الضغوطات، وتحصيل حقوقها، بقولها:

"صح بالأول انضغطنا من الوحدة كثير، ومتخيلة تخلف مجتمعنا،
وبالأخص على وحدة أرملة، بس عادي صرنا احنا متعودين وصار عنا
ثقة، ونرد على أي انتقاد أو كلام، أولها كنت متضايقة لما أسمع حكي، بس
خلص مدام مش عاملة اشي غلط ليش أسمع الناس، وتعبت كثير لحتى
بنيت هاي الدار".

نرى في حديث فاطمة هنا صيغة جماعة بارزة، وكأنها تشير هنا لجماعة معينة تمثلها، متمثلة في زوجات الشهداء مثلها، أو ما يطلق عليهن مجتمعياً بـ "الأرامل"، وهذا ما سأطرق له بتفصيل أكبر لاحقاً.

في حين تجد شريفة بأن إتباعها لنمط الفكاهة كسلاح لمواجهة ما تتعرض له من صعاب وتحديات قد شكّل عاملاً مساعداً، ومهماً في التخفيف عنها، وتجاوز ما مرت به من صعاب وتحديات، إضافة لوجود بناتها حولها، بقولها:

"الواحد يحاول يصبر حاله ويواسي حاله ويخلق جو مرح يخليه يتناسى، يعني أنا كنت ملتوية بيناتي، وماخذة الحياة مسخرة، وبضلني أضحك وألعب ومش جدية ولا مبالية، ومن جديد صرت أعقل شوي شوي، يعني رحن بناتي وبيجن فبخفف عندي شوي، يعني روعي المرحلة ساعدتني أتخطى كل هالأحداث".

تتبع شريفة من غير علمها نهج الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون، الذي يحث البشر على التعامل مع المآسي بقدرٍ من اللامبالاة لتتحول المآسي إلى كوميديا، وبذلك يخفون من وطأة وثقل ما يواجههم من صعاب. حيث يقول:

"جربوا للحظة الاهتمام بكل ما يقال وكل ما يجري، وتصرفوا بالخيال مع أولئك الذين يعملون، أعطوا لودكم أوسع مداه، وكما لو كانت هناك عصا سحرية، سوف ترون الأشياء الأكثر خفة تتخذ وزناً ويغلف التلوين القاسي كل الأشياء، ابتعدوا بأنفسكم، شاهدوا الحياة بوصفكم متفرجين غير مبالين، الكثير من المآسي تتحول إلى كوميديا، يكفي أن نسد آذاننا بوجه صوت الموسيقى في صالون فيه حفلة راقصة حتى يبدو الراقصون سخفاء في الحال". (برجسون، 1924).

ويرى زيد (2007) بأن السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، فيه الكثير من المشاعر والعواطف والأحاسيس، التي تتراكم يوماً بعد الآخر، وسرعان ما يتعلم كيف يخفف من آلامه، وكيف يتغلب على المصاعب، والعقبات التي تواجهه في الحياة، ويدرك في الوقت نفسه ما يشعره بالراحة النفسية، وتتبلور من خلال هذه الأحداث صورة واضحة للفرد عن

ذاته تدريجيًا، وتتضح ملامحها للآخرين بازدياد الخبرات اليومية لتظهر أمام الفرد نفسه، وبذلك يتشكل عند الفرد مفهومه حول ذاته.

إذ يوضح هول (2008) ثلاثة بُنى لمفهوم الذات، الأول " الذات التنويرية" القائمة على مركزية فردانية، والثاني " الذات السوسولوجية" التي تذهب إلى صيغة تفاعلية بين الذات والمجتمع، فهذه الذات تتشكل وتتبدل في حوار مستمر مع العوالم الثقافية الخارجية والهويات التي تقدمها، وبذلك فإن هذه الذات التي كانت تُعد تصوراً لهوية موحدة ومستقرة، فإنها الآن " مفتتة"، فهذه الذات لا تتألف من هوية فردية، وإنما من هويات عديدة وأحياناً متناقضة، مما يُنتج الشكل الثالث من الذات، وهي " الذات ما بعد الحداثية" التي تتسم بأنها غير ثابتة، ويصف هول الهوية ضمن هذه الذات بأنها تشبه " احتفالاً متنقلاً". وبحسب علم النفس المجتمعي نرى بأن مفهوم الذات يتشكل نتيجة سياق مجتمعي ساعد في بلورة هذا المفهوم، حيث سجد دور السياق الفلسطيني في تشكيل مفهوم الذات لدى زوجات الشهداء.

فبالرجوع إلى سردية المشاركات نرى بأن الحدث وما تبعه من تحديات وصعاب قد ساعدهن في تشكيل وبلورة مفهوم الذات لديهن، وتعزيز النظرة الإيجابية لذواتهن، وتقدير ذواتهن أحسن تقدير، وإعطاء قيمة عالية لهن. وهذا ما قالته تغريد عن نفسها حين سؤالها حول نظرتها لذاتها، بقولها:

"أنا فخورة في حالي قبل ما أكون زوجة شهيد، أنا كيف تغريد، وكيف إنني
أم مثالية وبتعب على بنتي وبربيها صح، وطبعاً كله بمساعدة ربنا واللي
حوالي"

فهي بذلك قادرة على إعطاء قيمة حقيقية لذاتها، واضحة الملامح، من خلال تقديرها لذاتها، وتبيان نقاط قوتها وإبرازها، موضحةً بأن تربيته لابنتها، وبأن الدين والمحيط الاجتماعي الداعم هم من شكلوا هذا المفهوم لديها. وهذا يحيلنا لطبيعة السياق الفلسطيني الجمعي الغالب عليه الطابع "المحافظ الديني"، حيث تلعب الجماعة، والانتماء لهذه الجماعة، دوراً بارزاً في تقوية الفرد، وتشكيل مفهومه حول ذاته بناءً على دعمها وتشجيعها له. فالفرد المقهور كما قلنا سابقاً، يستعيض عن عجزه الفردي بالانتماء بالجماعة، فبقدر تفاقم

الخطر الخارجي، بقدر تعاضم الاحساس بالتهديد للذات والمصير، فيميل بذلك الفرد الى الذوبان في الجماعة (حجازي، 2005). وقد يكون مقصد حجازي هنا يحمل دلالة سلبية، بناءً على سياق النص في التعصب والعصبية، ولكن قد يُشكل هذا الذوبان أو الاحتواء عاملاً مساعداً لهؤلاء النساء، كما هو حاصل مع تغريد.

لنجد نفس نظرة الفخر عند سميرة، التي ترى بأن تقديرها لذاتها نابع من حفاظها على نمط المعيشة التي حرص عليها زوجها قبل استشهادها، بل قد تفوق زوجها بالاهتمام والعناية، بقولها:

"أنا فخورة بحالي، يعني احنا عايشين نفس نمط هاشم زوجي، يعني ما تغير على ولادي وعلى حياتنا غير وجود هاشم، يعني بحبش أشعرهم بالنقص، إنه ابن يتيم، بحب أشعرهم إنه عايشين زيهم زي أي واحد موجود، يعني احنا بس ناقصنا وجوده".

ونرى نظرات الفخر عند سناء لنفسها أيضاً، فسناء، أم لثلاث بنات، وقاست الأمرين من أهل زوجها، ولكنها استبسلت، وحاولت الدفاع عن حقوق بناتها، سناء تتعجب من قوتها الحالية، حيث كانت تعتمد اعتماد تام على زوجها، في كل كبيرة وصغيرة، فقد كان "المسؤول عنها" كما تقول:

"كنت أحسه قريب مني وهو المسؤول، وهو القوي، ومكنتش قوية، خجولة وهادية وصعب إنني أتعامل مع الناس، شخصيتي ضعيفة كانت"

ولكن الحدث كما قالت سناء سابقاً، هو من أمدها بهذه القوة، ففقدانها لزوجها كشف لها الوجه الحقيقي لأهل زوجها، فوالد زوجها "حماها" حاول حرمانها وبناتها من الميراث، وكذلك فعلوا أشقاء زوجها "أسلافها" من بعده، ولكنها تصدت لهذه المحاولات، بمساعدة بناتها، حيث كانت تستشيرهنّ قبل الإقدام على أية خطوة تتعلق بحقوقهن.

في حين، ترى فاطمة بأن شخصيتها قُلبت رأساً على عقب، فسابقاً كانت تحمل ثقة مهزوزة بذاتها ما خلق منها امرأة ضعيفة تواجه مشاكلها بالبكاء والنواح، أما الآن وبحكم استشهاد زوجها وتحملها كل العبء والمسؤولية على عاتقها، فقد استطاعت السيطرة على حياتها

بعقلانية وجرأة أكثر من المعتاد، بل استطاعت المطالبة بحقوق أبنائها والوقوف بوجه كل من يظلمها، بقولها:

"طلع على حالي بأكثر من نظرة، أول اشي فخرز واعتزاز إني زوجة شهيد، وبربي بأيتام وبنفس الوقت الاشي الي صار معي كبرني مليون سنة يعني مرات بنسى حالي وبلتهي بطلبات الأولاد، يعني قبل كان الأب حامل المسؤولية بس الحين كثير اختلف الوضع، من ضغوطات، يعني شخصيتي قابت قلب حتى بعد ما ولدت مروان اختلفت زي كأي مكنتش عايشة قبل، قبل مكنتش جريئة هالقدي كنا هبل قبل (صيغة الجماعة هنا تعود عليها وعلى باقي زوجات الشهداء ممن شاركنها في التجمعات)، لأنه كانت أبسط مشكلة أوخذها بعياط وأحس حالي مقدرتش أوخذ حقي بس الحين بوخذها بجرأة وبعين قوية وحلو إنه الوحدة تكون قوية حتى لو الناس بتتظرلها إنه وقاحة"

فتقديرها لذاتها نابع من كونها زوجة شهيد أولاً، وأم لأيتام قادرة على تربيتهم والمطالبة بحقوقهم ثانياً، وبكونها نضجت واستطاعت السيطرة على زمام حياتها أخيراً. الصيغة التي تتحدث بها فاطمة صيغة الجمع التي تشير بها إلى النساء اللواتي فقدن أزواجهن، وأيضاً صيغة تحمل كلمات مذوتة من قبل السياق المجتمعي الذي يرى قوة المرأة وقدرتها على مواجهة التقييدات والمعيقات المجتمعية بوصمها بـ "الوقحة". فاطمة تدرك ذلك؛ تدرك بأن هذه الكلمات هي كلمات فرضها المجتمع ولا تمثل حقيقة هؤلاء النساء "القويات".

وسماح كذلك، ترى بأن هذا الحدث قلب شخصيتها رأساً على عقب، حيث اكتشفت سماح جديدة بطابع ونمط مغاير عما كانته سابقاً، بقولها:

"كنت وحدة وصرت وحدة ثانية، قبل كنت هادية وآه ماشي وأرضي بكل اشي وأحس إنه الحياة بسيطة وماشية، بس بعدين لما استشهد واشتغلت صار إنه لأ، لازم كل شي يمشي لما أنا بدي، ومكنتش أحكم على اشي، بس بعد ما اشتغلت صرت أقوى"

وهنا نستطيع استنتاج حجم الفارق الذي شكله ولعبه عمل سماح على شخصيتها أكثر من حدث استشهاد زوجها نفسه، وهذا ما بدا واضحًا وجليًا حين مكاشفتها عن دور العمل في اتخاذ قرارها بالزواج ثانيةً، بقولها:

"يعني لو كنت اشتغلت قبل ما تزوجت بعد استشهاد زوجي كان فكرت بالموضوع أكثر (موضوع الزواج ثانيةً)، إنه كان ممكن هي شغلي وهي حياتي وخلص، يعني كان حسيت إنه أنا صرت قادرة وبلزمني حدًا يكون جنبتي. ولما أحكي عن حالي وقصتي أشي بشرف وما بخجل، يعني صرت اشتغل وصار وجه جديد وصار الكل يسأل مين هاي"

وهذا يحيلنا حول الحديث عن الدور الذي يلعبه العمل في تشكيل مفهوم الذات لدى المرأة، وتحديدًا المرأة الواقعة تحت وطأة مجتمع لا يراعي أي خصوصية لها في ظل عدم استقلالها المادي. فما أبدته سماح من قوة وتماسك ما هو إلا نتاج استقلال مادي، تبعه قدرة على اتخاذ قراراتها، وتحمل مسؤولية أعلى من ذي قبل. حيث عزز العمل من قدرتها على المواجهة، والسيطرة، وأضاف حالة من الرضا الذاتي فقدته لفترة من حياتها. ما ساعد في تحسين نظرتها حول ذاتها، المتمثلة قديمًا بالإنسانة الضعيفة الهشة التي لا تملك من زمام الأمور شيء، إلى امرأة قوية قادرة على اتخاذ قراراتها، وقادرة على سرد ما مرت به من أحداث وصعاب، بكل جرأة وعزيمة واعتزاز. فالقيام بالعمل عزز ثقتها بنفسها، وعزز من تقديرها لنفسها. حيث تقول:

"بعد هالوضع، حسيت إنني صرت أقوى، وبطل يهمني أي أشي، وبطلت أخاف من أي أشي، وبعد ما اشتغلت صرت أقوى وأقوى، ولما صرت أطلع يوم عن يوم أحكي بشجاعة، وبالنهاية عشان ولادي دار حماي مش مقصرين والههم راتب وأنا لازم أساعدهم لأنهم محتاجين أشياء كثيرة، وشغلي خفف كثير علي وخالني أصير قوية"

سماح ذكرت بأنها في هذا العمل "الكل صار يسأل مين هاي" وفي هذا مؤشر واضح منها على أهمية ما يعتقده ويتصوره الآخرون عنها، فهي بالرغم من كونها وجهًا جديد في العمل كما تصف، إلا أنها قد أثبتت حضورها في وقت قصير. وباتت قادرة على سرد تجربتها

وتفاصيل ما مرت به من تجاربٍ بعد استشهاد زوجها السابق دون حرجٍ أو خوفٍ من اعتقاد الآخرين عنها، وهذا قد يتعارض ظاهرياً مع ما ذكرته في سؤال الآخرين عنها "الكل بسأل مين هاي"، ولكن حين التأمل جيداً نرى بأن سماح في توصيفها لحالتها السابقة واما كانت عليه شخصيتها التي كانت لا تزال تولي اهتمام بما يعتقدده الآخرين عنها سواءً حين زواجها ثانيةً أو في بداية عملها، ففي بداية عملها لم يكن تأثير العمل عليها واضحاً وجلياً كما هو الآن، فالآن هي تعي حقيقةً بعدم حرجها من مشاركة تفاصيل تجربتها وما مرت به حتى مع زملائها الذكور.

تقول كفاح:

"في منهم بستغلوا زوجات الشهداء، ولكن أنا ما حدا قدر، وما حدا فكر يستغلني، لأنه أنا ضبعة بالنسبة لإلهم، عندي قوة شخصية واسمي كفاح وحاملة اسمي، طبعاً بهدوني وقوة شخصيتي مش بشراسة، أنا مش شرسة نهائي، بس قوة شخصيتي بتفرض حضورها، في بعض زوجات الشهداء يتم استغلالهم، وبنات وأبناء الشهداء، وهي حالة الشفقة الي أنا برفضها، لأنه لما انت تشفق عليّ بتهيني، برفض نروح عند أهل الشهداء شفقة أو نواسيهم شفقة، لأنه الشفقة ممكن توصلهم للاستغلال. وأنا وولادي ما تعرضنا لهالشي لأنه عنا شخصية مستقلة، أنا اللي بعرفني ما بنادني إلا القائد، أنا عضو مجلس ثوري بحركة فتح، يعني حتى شقيت طريقي، الإبعاد (إبعاد زوجها إلى الجزائر) كان حارمني إنه أكمل بالتنظيم، إلا إنه لما رجعت، رجعت على التنظيم، ودخلت المسميات والمهمات التنظيمية، وحالياً أعلى رتبة في التنظيم، فيعني هذا مش كل زوجة شهيد بتمتلكه، ولكن حتى الي بتمتلك هالشي عندها اشي دفين وصعب، يعني كل ما كان هناك شيء مميز في الشهيد وكان اله حضوره ومكانته وفعله، كل ما كان صعوبة انك تعيش حياة طبيعية بعده أكثر. يعني أنا كثير حكولي ليش ما تنزوجي!، حكتلهم جيبولي بمستوى عبد الله بتزوج، لأنه بالأخر احنا بنحمل رسالة، فحتى موضوع الزواج مش وارد، لأنه فش تكافؤ، فبتختصري القصة على وحدتك، ولا إنك تروحي تدبي في اشي انت ما

بتقديره، فما بنزل نزول بطلع طلوع، وطلوع مش بالمسميات، طلوع في قمة الانسانية، وهاي الأيام صعب وجودها، لأنه حتى هاي الأيام مش كل الي بمكانة معينة حاملين وزن اللي هما قاعدين عليه".

هنا كفاح تطرقت لعدة مواضيع في آن واحد، مواضيع لا يمكن فصلها بتاتاً، فكلها ساعدت في تشكيل كفاح على ما هي عليه الآن، ما يتعلق بدايةً بقوة شخصيتها وحضورها الفارض نفسه أمام الآخرين والمحيط ليتم مناداتها بـ "القائد"، لنرى بأن هذا الحضور ما هو إلا امتداد لمكانتها الوظيفية "النضالية" كما تسميها هي، كفاح استمدت هذه القوة من طبيعة دورها الوظيفي أولاً، والوطني ثانياً، لتجد نفسها قادرة على مجابهة ما تتعرض له هي وباقي زوجات الشهداء، فهي قادرة على المواجهة بحكم ما تمتلك من استقلال على الصعيد المادي أولاً، وما تبعه من استقلال على الصعيد الاجتماعي ثانياً. استخدام كفاح لكلمة "شرسة" و "ضبعة" ما هي إلا مفاهيم تم استدخالها من المجتمع الذي يصف النساء اللواتي استطنَّ الخروج عن المعيار الجندي المفروض، فالمرأة الواعية لحقوقها والقادرة على مواجهة كل القيود المجتمعية؛ هي بمنظور مجتمعها امرأة "شرسة"، لذلك كفاح تحاول تبرئة نفسها من هذا المفهوم، ولكن تصف نفسها بكلمة لا تقلُّ فظاظَةً عن سابقتها تصف نفسها بـ "ضبعة".

كفاح تعي تماماً خصوصية حالتها في سياقنا الفلسطيني، فهي تعي ما تقاسيه زوجات الشهداء الأخريات بحكم عدم امتلاكهن هذه السلطة وهذه الأحقية، التي بالضرورة تصحبها استقلالية ومقدرة أكبر على المواجهة. لنرى حجم الدور الكبير الذي يلعبه امتلاك المرأة في مجتمعنا لمكانة "سلطوية" تؤهلها للمضي قدماً بثقة، ووعي وطني، بادية معالمه جلياً في حديثها. فهي وبحد قولها تحمل "رسالة"، رسالة تفرض عليها الاكتفاء بذاتها وبوحدتها عوضاً عن الاستهانة بدورها، والزواج من رجل يقل بالمستوى "النضالي الوطني" عن زوجها الشهيد أولاً، وعن مكانتها ودورها ثانياً. ليتابع حديثها، وتخبّرنا بأن هذه الاستقلالية كان لها الدور الأساس في استمراريتها، وبأن هذه الاستقلالية ما هي إلا نتاج طبيعة العلاقة بينها وبين زوجها الشهيد، بقولها:

" السبب الأساسي والعامل الأساسي هو استقلاليتي الشخصية، والمساحة اللي كنا فاردينها (التي تم توفيرها) لبعض أنا وعبد الله. هاي كثير ساهمت

أنا أكمل وكأنه هو كان بهيأني إنه هيك رح يكون مشوارك. سواء فقدتيني بإبعاد بسجن، بمطاردة، باستشهاد، وهذا كثير مهم، إنه ما يملكك شخصية زوجته، لأنه هالشي بمحي شخصيتها، أو حتى إنه الثنين يملكوا بعض. أنا شخصيتي ضلت زي ما هي. ما اختلف علي أي شيء. بضيف ما بنقص، في اضافات الخبرة والعمر والعلاقات، وبعدين هو كان نفسه دافع لإلي، وأنا كملت بكالوريوس وماجستير وأنا متزوجة وكملت الماجستير بالإبعاد، وأخذت الماجستير بثلاث سنوات، وعملت رسالة محترمة، فالاستقلالية بين الأزواج والحب من أجل بناء أسرة واعطاء كل واحد مساحته، هذا كثير أثر ورجعت لحياتي الطبيعية، الألم والوجع حطيه على جنب لأنه مش سهل واستمر لفترة طويلة، ولكن وتيرة الحياة بتمشي، بس قديش انت بتبني بكل الأشخاص حواليك لحتى يستمروا صح، أنا وعبدالله كان عنا استعداد أي واحد فينا يكون بديل عن الثاني ويكمل مشوار الأسرة بطريقة طبيعية".

هذا النموذج الزواجي الذي تطرحه كفاح وزوجها عبد الله، ما هو إلا نموذجًا نادرًا ما نجده في مجتمعنا الفلسطيني برغم حاجتنا الماسة له في سياقنا الاستعماري. فالتعامل مع سياقنا بهذا الانتماء وهذه الروحية، يُنتج حالة من الجهوزية في التعامل مع حدث الفقدان، باعتبار الشهادة بحد ذاتها مشروع علينا تربيته وتهيئة أنفسنا جيدًا لاستقباله. فمن حديث كفاح نرى بأنها وزوجها يمتلكون أدوارًا نضالية متسقة تصب في قضية واحدة، ما دفعهم لاحترام استقلالية بعضهم البعض، وتعزيزها، وإبرازها. مما كان له الدور الأكبر في استمرارية كفاح حتى بعد فقدانها لشريكها.

أما مها ترى نفسها "أسدة" لا تخاف إلا من مرض أولادها ومرضاها، تخاف أن يفقدوها ولا يجدوا من يعيلهم بعدها، بقولها:

"أنا بشوف حالي أسدة بخفش من اشي، الخوف هذا بعرفوش، لحد الآن بكره الخراب، وبخاف من المرض، بخاف ولادي يمرضوا، بس جديد صرت إنه بخاف يطب (يُصيب) مرض فيني اترك بناتي"

هذه النظرة لنفسها نابعة من كم التحديات التي خاضتها حال فقدانها لزوجها، وما تبعه من حالة نفسية صعبة، استطاعت تجاوزها بفضل المؤسسات، والأشخاص الداعمين لها ولأسرتها. إلا أن هذه النظرة لم تلغي عندها جانب الخوف المتمثل بخوفها على أبنائها ومستقبلهم وخاصة ابنتيها، وهذا طبيعي، كونها المعيل الأساسي لهم، وكون ولدها الأكبر يعاني من مشاكل في الدماغ، وابنها الآخر أسير في سجون الاحتلال، وابنتيها ما زالتا في أوائل العشرينات.

بعد استعراض سردية زوجات الشهداء المتعلقة بجزئية ارتباط الحدث وما يحمل من ضغوطات، نستطيع مناقشة ما تمت الإشارة إليه من حديثهن باستفاضة أكبر، واستنتاج ما يأتي:

- لعب حدث فقدان "فقدان الزوج"، دورًا أساسيًا في تشكيل مفهوم الذات لدى زوجات الشهداء، وتعزيز نظرتهم الإيجابية لأنفسهن، وتشكلات ذواتهن. فقد لمسنا العديد من نظرات الافتخار والاعتزاز من قبل زوجات الشهداء لأنفسهن، اعتزازًا بما قدمن، ويقدمن. اعتزازًا بحجم التغيير الفارق في شخصياتهن نتيجة ما تعرضن له. واعتزازًا بقدرتهن على الحفاظ على حقوق أبنائهن، والدفاع عنها، والمقدرة على لعب أدوار مختلفة في سبيل تربية سليمة لأبنائهن. فاستشهاد الزوج في ظل وجود أبناء لهم، حمّل معه عبء ثقيل على كاهل الزوجة، تمثل في مسؤولية مضاعفة، والقيام بأدوار مختلفة في سبيل الحفاظ على بيتها. وهذا العبء وهذه المسؤولية، أتاح للزوجة اختبار نفسها، وإبراز تماسك وإرادة دافعة لم تعدها من قبل. ما ساعدها في تشكيل مفهوم ذات يختلف عما كان سابقًا. حيث لاحظنا تكرارًا في حديث معظمهن حول الفارق بين ما كانت عليه شخصيتهن سابقًا وما هي عليه الآن. فالغالب منهن كنّ يتمتعن بشخصية ضعيفة، هادئة واثكالية، لا تقوى على تدبير أمور بسيطة في بيتها، لتتحول إلى امرأة قوية، صلبة، عنيدة، تمتلك مقدرة كافية للتصدي لكل ما يواجهها. فالسياق الذي فرض عليها نتيجة استشهاد زوجها، حتمّ عليها إظهار قوة في سبيل الاستمرارية، والنضال من أجل حقوق أبنائها. هناك من تعرضت لمحاولة استغلال من قبل أهل زوجها لحرمان بناتها من الميراث، فقط لكونهن "إناث"، وهناك من تعرضت لمضايقات لحثها على الزواج وأخذ مستحقات

الشهيد المالية. عدا عن مضايقات المجتمع "الكلامية" والتشكيك بأخلاقيات بعضهن. كل هذه الأحداث دفعتهن لتحمل مسؤولية الدفاع عن أبنائهن وحقوقهم أولاً، والقيام بمسؤوليات ومهام لم تقم بها سابقاً لوحدها، وبالتالي إتاحة الفرصة لها لاختبار ذاتها في محطات مختلفة أخيراً. فهذه الفرصة لم تُنَحَّ لمعظمهن إلا بغياب المعيل الأساسي والوحيد لأسرتهم وفقدانه.

- فقدان الزوج، دفع معظم النساء للإقدام على العمل، وإعالة أسرتهن، كونها المعيل الرئيس لأسرتها حالياً. حيث أن "الاقتصاد المُخَاصِر" كما تقول كُتَّاب (2008) أعاد إنتاج سياسة المعيل الذكر كنموذج وحيد للإنتاج الاقتصادي، مما يضطر بالنساء بالتوجه إلى العمل، والإنتاج نتيجة بطالة معيل الأسرة أو سجنه أو وفاته، ويُصنف هذا النشاط كاستراتيجيات مواجهة اقتصادية، واستراتيجيات مقاومة تلجأ إليها النساء استجابةً لتهديد إفقار العائلة أو انهيارها. وهذا ما حدث فعلاً، إلا أن العمل لم يكن استراتيجية مواجهة اقتصادية ومقاومةً انهيار الأسرة فحسب، بقدر كونه أداةً لخلق حالة نضالية ضد أوجه التعنيف المجتمعية المختلفة، لِتتمتع المرأة من خلاله باستقلالية مادية تحمل معها بالضرورة استقلالية في الشخصية، وبالتالي قدرة على التصدي واتخاذ القرارات الصعبة. حيث ساهم حدث فقدان في خروج المرأة من الحيز الخاص المتمثل في حدود أسرتهن، إلى الحيز العام المتمثل في العمل الإنتاجي أو العمل الوطني. وقد ساهمت هذه الأحداث في تعزيز إيمان هؤلاء النسوة بأنفسهن، والنضال من أجل حقوقهن وحقوق أبنائهن. وسمعنا من أقوال معظمهن الدور الذي ساهم به العمل في تشكيل مفهومهن حول ذواتهن، وتعزيز تقديرهن لأنفسهن، وزيادة ثقتهن بأنفسهن وقدرتهن على المواجهة. وهذه الاستقلالية تُقلص من حجم الوصاية الذكورية عليها، وأحياناً تُلغىها. فاستقلالية المرأة تُمكنها من إدارة دفة حياتها، والقدرة على تدبير أمورها بنفسها، وهذا يعزز لديها ثقتهن بنفسها، وعدم الاستسلام لأيّ كلام أو فعل جارح، وهذا ما سمعناه من كلام المشاركات. فالعمل ساعدها على تحسين علاقاتها الاجتماعية، والقدرة على اختيار علاقاتها الاجتماعية بعناية أوعى من السابق، وبما يعود عليها بفائدة أكبر. نموذج كفاح التي تمتعت باحترام الآخرين لها بفعل امتداد دورها الوظيفي أولاً، ودورها الوطني النضالي ثانياً، هو نموذج يحيلنا للتساؤل حول مدى أهمية امتلاك

المرأة لمكانة سلطوية في وطأة مجتمع يرى نفسه بأنه وصيّ على المرأة باعتبارها كائن مستضعف. فامتلاك المرأة لمكانة ذات شأن وطني بالدرجة الأولى، ومكانة مهنية بالدرجة الثانية، يمكنها من تغيير النظرة المُهينة تجاهها، ويؤهلها للمضي قدماً بثقة ووعي أشد وأكبر من ذي قبل. وامتلاك المرأة لهذه المكانة يساعدها في تبني رسالةٍ نضاليةٍ أوسع، فعند تخلص المرأة من الصراعات الاجتماعية المتمثلة بنظرة المجتمع لها، واستحقاقه لها، وفرض الوصاية عليها، وحرمانها من حقوقها، يمكنها من إبراز وتفعل دورها وعملها السياسي، والعكس صحيح. حيث أكدت الدراسة الميدانية التي قام بها الخليبي (1977) أن اشتراك المرأة في الثورة خلال مرحلة التحرر الوطني، ولو وصل إلى حمل السلاح، لا يحررها تمامًا، وإنما يُشكل مقدمة طبيعية لتخليصها من بعض القيود الاجتماعية، ومع ذلك فقد ارتأت كوادير الحركة النسوية أن على الحركة الثورية إدراج مطالب خاصة بالمرأة وهي تناضل من أجل التحرر السياسي. وحول هذا الربط، ما بين الاجتماعي والسياسي، تشير عبد الهادي (2004) لبعض التغييرات الاجتماعية، التي نتجت من دخول المرأة حيز العمل العام، من ضمنها انتزاع الشرعية التي تجعل وجودها في العمل العام مقبولاً وطبيعياً، والتخلي عن بعض التقاليد الاجتماعية التي تعوق عملها السياسي، ومثال ذلك: رفعها الحجاب أمام القنصل البريطاني، كي يتسنى لها رفع العريضة الاحتجاجية إليه. واتساع المنابر التي عرضت قضاياها من خلالها، بالإضافة لكسر النظرة التقليدية التي تحصرها ضمن أدوارٍ محددة، وطبيعة عمل محدد، عدا عن كسر بعض القيود العائلية، واكتساب احترام وتقدير المجتمع بصورة متزايدة، وإحلال مشاعر الفخر والاعتزاز بنضالها محل مشاعر الخجل والعار، وتقدير واحترام متزايد لرأيها. وتُبرز ذات الدراسة عبد الهادي (2004) دور الانتفاضة الأولى، في تمييز سجل نضال المرأة الفلسطينية، ومدى مصاحبة هذا التمييز السياسي، لتمييز اجتماعي، كازدياد ثقة المرأة بنفسها ونشاطها، واحتلالها مكانةً متميزة في الإعلام، وإدخال تقسيم للعمل بين الجنسين، وإضافة مهمات جديدة للنساء كقيادة تنظيم يساري مسلح، وممارسة شعار "الأرض قبل العرض" عملياً، كإخفاء سيدة لشاب مطلوب في بيتها، وإدخاله الحمام مع ابنتها إمعاناً في التمويه، ما تبعه من تسييس موضوع الشرف. ولكن تبين بأن معظم هذه التغييرات تراجعت

بانتهاة الظاهرة السياسية المحددة، الأمر الذي أكد موسمية التغيير. وتُضفي هذه التغييرات تساؤلات حول ماهية المسبب، فهل كانت هذه التغييرات نتيجة تغير اجتماعي، أم أن التغيير في سِجّل نضالات المرأة الفلسطينية أثر على وضعها الاجتماعي. وبإمعان النظر جيداً في السياق الفلسطيني، نرى بأن تغير نشاط المرأة السياسي لا يأتي من فراغ، وكذلك التغير الاجتماعي، فكلاهما مؤثرٌ في الآخر. لنجد بأن هناك تفاعل ما بين السياسي، المتمثل بالتححرر من الاستعمار الاسرائيلي، وما بين الاجتماعي المتمثل بالنضال ضد التمييز الطبقي والعنصري والنوع الاجتماعي. وبالرجوع إلى فئة زوجات الشهداء، نجد وبناءً على سرديتهن، بأن السياق الفلسطيني الاستعماري، الذي استدعى فقدانهن لأزواجهن، اقتضى معه بالضرورة تغييرات في البنى الاجتماعية، صحبه تغييرات على المستوى الشخصي، تمثل بقيامهن بأدوارٍ ذكورية أو "هكذا كانت تُصنف"، وتَحْمُلُ مسؤولية أسرة بأكملها، ما خلق حالة نضالية قادرة على إزالة معظم المعوقات والقيود الاجتماعية من طريقها. ونرى من كانت تتبنى من البداية " قبل فقدان زوجها" فكر نضالي ثوري، ساعدها في المضي قُدماً لإتمام رسالة ما بدأت لأجله، والتصدي لكل أنواع الاستغلال والاضطهاد الذي قد يُمارس بحقها كأمراة و"أرملة". فلا يمكن رؤية وضع المرأة الفلسطينية ومدى مشاركتها في الحياة السياسية والعامّة، وفي مواقع صنع القرار وتقلد المناصب العامّة، إلا من خلال الغوص عميقاً في الظروف المجتمعية التي تحيط بها، ما يُحَتِّمُ ضرورة إلقاء الضوء على واقعها المجتمعي، باعتباره عاملاً مهماً في تحديد ورسم ملامح هويتها (أبو مد الله، 2018).

- اتخاذ الزوجة زوجها الشهيد كنموذج، وطبيعة علاقتهم الزوجية، أمداها بالقوة والإرادة لتحقيق التكيف فيما بعد. حيث صرّحت سناء وبشكل واضح، باستمدادها للقوة، والجرأة من زوجها، بقولها:

" أنا أخذت قوتي منه، من زوجي، يعني كان هو الوحيد اللي يناقش بجرأة، حتى أغلب المواقف بحكي للبنات كان أبوكم يعمل هيك وما يسكت على الغلط"

وهذا التأثير الشديد بشخصه، نابع من طبيعة العلاقة الودية، والمعاني الاجتماعية التي كانت تُغلف حياتهم الزوجية من جانب. وإضفاء المعاني والقيم الوطنية والرمزية على الشهيد من قبل مجتمعنا وثقافتنا الوطنية من جانبٍ آخر. فالشهيد في ثقافتنا اتخذ أعلى المراتب، وهذا ما سنوضحه أكثر عند حديثنا عن أبعاد الشهادة لاحقاً. ولذلك هناك الكثير من الشهداء ممن يتم اتخاذهم كنماذج نضالية وثورية، وأحياناً فكرية، لِنَتَسَّع دائرة النمذجة هذه، وتشمل حياتهم الاجتماعية، وما يرتبط بسمااتهم الشخصية والنفسية. وبهذا تأثرت سناء، تأثرت بقوة زوجها، وامتلاكه جرأةً كانت تفتقدها لعدة سنوات من حياتها، لتستمدّها مِنْهُ، وتعززها بعد وفاته. فطبيعة المواقف والأحداث التي تعرضت لها، فرضَ عليها التعامل بطريقة مغايرة عما كانت عليه سابقاً، وَفَرَضَ عليها استنكار وتبني الأسلوب الذي كان يتبعه زوجها في التعامل مع الناس والصعاب، لمدى نجاعة هذا الأسلوب معه، ولكنها لم تتجراً سابقاً على تبنيه، أو لم تُنَحِّ لها فرصة التفكير والتأمل بأهمية امتلاكها لهذه القوة، لحجم التكاليف على زوجها في تسيير الأمور العالقة، والتصدي لأية صعاب. لنرى نموذج سردي آخر، وهو نموذج كفاح، كفاح التي كانت تتمتع بشخصيةٍ مستقلة، تقوم بأدوارٍ متعددةٍ خلال حياة زوجها، بحكم خصوصية حالته السياسية، وما تقتضيه من إبعاد وأسر. فقد قامت بدور الأم والأب قبل فقدانها لزوجها، ولقد عانت من عبء المسؤولية من البداية، لذلك لم يتغير عليها الكثير بعد استشهادها، سوى الكثير من مشاعر الأسى والحزن. وقد بَرَزَتْ الاستقلالية فيما بينهم، وَوَضُحَتْ ملامحها جيداً. فقد اتخذوا نموذج زواجي نضالي، تمثل في تهيئة أنفسهم لأيِّ حدثٍ يستدعي غياب أحد الطرفين، بحكم طبيعة السياق الاستعماري المفروض، وبحكم ما يتبنون من مشروعٍ نضالٍ تحرري.

وبهذا نرى، بأن جزئية فقدان الزوج ترتب عليه تغييرات في البنية الاجتماعية والاقتصادية لزوجات الشهداء، صحبه تغييرات وتحولات في المستويات النفسية والذاتية، خلق عند هؤلاء النسوة إيماناً أقوى بأنفسهنَّ، وبقدرتهنَّ على المواجهة، والنضال ضد كل أشكال القمع والتمييز، والتفكير بالخروج من حيزهنَّ الخاص المتمثل بالأسرة، للخروج إلى الحيز

العام المتمثل بالعمل العام، وصنع القرار. وهذا ما سنلمسه أكثر عند الحديث عن الهوية الاجتماعية لزوجات الشهداء وما يواجهن من تقاطعاتٍ مجتمعية في البند اللاحق.

ثانياً: الهوية الاجتماعية لزوجات الشهداء، والتقاطع المجتمعي

تغريد التي قرأنا ما ذكّرتَه من قوة في شخصيتها، وقدرتها على مجابهة كل التحديات والصعاب بفضل ما خاضته من أحداث، وما زودها بتقدير ذات عالٍ، تجد أن على زوجات الشهداء الثقة بأنفسهن، وبقدرتهن على المواجهة أكثر من ذلك، حيث تقول:

"في منهن مش متقبلة إنه زوجها أبعد عنها، وفي منهن وقفن (استسلمن)، كيف مجتمعنا الشرقي إنه آه مات زوجها ورضخت الهم وتزوجت مشان يكون إلهنا سند، فليش مش معتبرة حالك سند، انتِ لحالك قادرة تقومي ببلد، فليش أخلي سلفي يتحكم فيني وبولادي، فيعني حرام مجتمعنا كثير ظالم للمرأة. أوك زوجك مات الله يرحمه، بس هذا مش معناه تموتي معه، لأنه في قدامك ولاد بدك تكوني قوية، فلأسف بتصير حياتها كلها لزوجها وأولادها وبتتزوج بس لمبدأ الزيجة، ما بتطلي (بتنظري) لحتى أكوّن حالي وأكوّن قائدة لولادي، إنه صح الوحدة ما بتقدر تعمل كل اشئ لحالها، بدها إيد مساعدة، بس لما تلاقي في حدا حواليك بساندك وبساعدك وبدك تكوني عارفة هالشخص داعم أو لأ، وهاي بتيجي من تجارب الحياة هل هالشخص بدو يساعدك ويدعمك ولا لأ، لأنه الأشخاص اللي يرجعوني لورا أنا بغنى عنهم"

هذا الخطاب يحمل معه العديد من المعاني، قد يبدو للوهلة الأولى بأنه خطاب استعلائي فوقي، لا يعي حجم الفروقات بين النساء وسياقاتهن، وما يحملن من قدرة على التحمل والاستمرارية، إلا أنه يمثل امرأة عاشت ظروفًا شبيهةً بظروفهن، وبنفس السياق المجتمعي "الشرقي الظالم للمرأة" كما تقول، تغريد تعي بأن الضغوطات التي تواجه هذه الفئة تحديداً، فئة زوجات الشهداء، لا تقتصر على كونهن زوجات فقدن أزواجهن وحسب، بل تتسع لكونها "امرأة" بالدرجة الأولى، فقدت الأمان، وفقدت "السند"، السند الذي سيجمها من بطش المجتمع وجبروته عليها، وعند فقدانها لهذا "السند"، الذي نمى في

فكرها نتيجة مجتمع يراها قاصر، وغير قادرة على تدبير أمورها بنفسها، تجد نفسها فيما بعد ضعيفة، قاصر فعلاً، وتكونُ بذلك قد نوتت أفكار هذا المجتمع، في عدم استطاعتها تربية أبنائها بمفردها، وانعدام قدرتها على تدبير أمور حياتها والسيطرة على ما تتعرض له من مضايقات مجتمعية، إلا بزواجها ثانياً، لكي تستعيد "السند" الذي فقدته. هذا ما تحاول تغريد توضيحه من حديثها، هي ترى بأن مجتمعنا وسياقنا الفلسطيني قد ساعد المرأة على ظلم نفسها أولاً، وخلق بداخلها ايماناً مهزوزاً بنفسها، وبقدرتها على الاستمرارية دون زوج يعيها ويشعرها بالأمان. فهي بقراره نفسها "امرأة مضطهدة"، تستهينُ بقدرتها، وتقل من تقديرها لذاتها. وتشكل الاستهانة بالذات كما يقول فريري (2003) سمة مميزة من سمات المضطهدين، تتبع من استلهمهم للفكرة التي يحملها المضطهدين عنهم، وبالتالي فهم غالباً ما يسمعون أنهم لا يصلحون لشيء، ولا يعرفون شيئاً، وغير قادرين على تعلم أي شيء.

هذا الخطاب "خطاب تغريد" تشكل نتيجة رؤية نقدية لسياقنا المجتمعي، لا تتضح معالمه جيداً إلا بمعايشة الاضطهاد الممارس على فئة النساء تحديداً، فتغريد وغيرها من زوجات الشهداء قد صرحن بشكلٍ مباشر حجم ما يتعرضن له من اضطهاد نتيجة كونهن "نساء" بالدرجة الأولى، وكونهن "أرامل" بالدرجة الثانية. فيقظة الوعي الانتقادي تقود إلى التعبير عن مشاعر السخط الاجتماعي، وذلك بالتحديد لأن مشاعر السخط هي مكوناتٍ حقيقية لوضعٍ قمعي وجائر (فريري، 2003).

سواء، بعد استشهاد زوجها، لم تفكر بالزواج، ولم تستطع تجاهل حضوره في حياتها وتفكيرها، ولكنها لم تُنكر احتياجها لوجود رجل في حياتها، بفعل الكثير من الصعاب والمضايقات التي واجهتها، لذلك لم تتردد في تزويج ابنتها الكبيرة، في عمرٍ صغير:

" مسكته وقتلته بدك تخطب شهد، شهد طفلة وبدك تتعامل مع طفلة، وهو ما شاء الله كان كثير متفهم، وكثير استوعبها وكثير دعمها، وانا وافقت عليه لأنه حسيت إني بحاجة لزلمة"

سواء تعرضت لضغوطات تتعلق بمكان سُكناها، حيث أصرت على إعطاء الحرية لبناتها وعدم تدخل أحد في تربيتهما، ولكن قوبلت بالرفض من قبل "أخوها"، الذي رفض فكرتها

في بناء بيت لها ولبناتها بعيداً عنهم، وانتظرت حتى تزوجت ابنتها، ليقوم "زوج ابنتها" الذي يصغرها سنًا ببناء بيت لها ولبناتها بمحاذاتهم، وبذلك لا أحد يستطيع الرفض، فقط لوجود زوج ابنتها "رجل" معهم. سناء تعي جيداً هذه النظرة الناقصة لها ولبناتها في ظل غياب رجل معهم، لذلك لم تتردد في تزويج ابنتها، علماً أنها تتحسن من الناحية المجتمعية، وبالفعل حدث. فقد استطاعت الاستقلال عن بيت أهلها هي وبناتها، وتمكنت من البناء والسكن بعيداً. عدا عن مضايقات أهل زوجها لها، ومحاولة حرمان بناتها من الميراث، فقط لكونهن "إناث"، فقد سمعت من والد زوجها "حماها" حديثه عن ندمه الشديد على تسجيل حصة من أملاكه لابنه خالد (زوج سناء)، وذلك لأن "خلفته بنات". تقول:

" تخيلي سيد وفا ابو خالد أجى على المستشفى لما عرف إني بدي أولد، بس ضل عنده أمل إني أجيب ولد، لأنه الولد عنده بستاها إنه يورثه، وإنه يعطيه مال، بس البنات لا حرام، وأكثر من مرة يعني أجاله لعمي، أحكيه عمي بنات ابنك بدهم حنية، وأنا حابة إنه رسالتي توصل وتوصلوا رسالتي، ليش أهل الزوج بقسوا على المرة (الزوجة) والبنات؟!، ليش يتعاملوا معهم بالأمر المادية! إنه ابن الشهيد أو اليتيم بدو حنية ما بدو مادة"

فسناء تعرضت لهذه الضغوطات ومحاولات للاستغلال، لكونها امرأة بالدرجة الأولى، يرونها قاصر، وضعيفة، وغير قادرة على السيطرة على حياتها، وكونها "أرملّة" بالدرجة الثانية، فاقدة لرجل يواجه معها هذه الصعاب، وكونها "أم" لثلاث بنات، يرى أهل زوجها بأنهن لا يستحقن أيّاً من ميراثهم. حيث تواجه النساء معيقات اجتماعية ناجمة عن الثقافة الذكورية السائدة في المجتمع، ونظرة العيب والتخجيل التي تمنع المرأة من المطالبة بحقوقها في الميراث واضطرارها للتنازل عنه في أغلب الأحوال، كما تواجه معيقات قانونية، تتمثل بعدم وجود نص صريح يُجرّم حالات الاحتيال والإكراه التي تمارس ضد المرأة لحرمانها من ميراثها، وعدم وجود نصوص تفرض للمرأة تحصيل حقها بالميراث بقوة القانون، عدا عن المعوقات القضائية والإجرائية والتي تتمثل بطول إجراءات المحاكم بالنسبة لقضايا الميراث، والإجراءات القانونية المعقدة التي تستغرق وقتاً طويلاً في عملية حصر الإرث وفرز الممتلكات والحصص والأراضي بين الورثة، الأمر الذي يدفع بكثير

من النساء إلى التنازل عن حقهن بالميراث مقابل عدم سلوك هذا الطريق المعقد والشائك (الجبعة وآخرون، 2014). فتقاطعية الأدوار الاجتماعية والجنسانية لسناء وغيرها من النساء ممن يُعاشن نفس ظروفها، أدى لتتداخل القضايا الاجتماعية التي خلقت مستويات من الظلم الاجتماعي، تمثل بدونية النظرة لها كونها "امرأة"، ومحاولة استغلالها والضغط عليها كونها "أرملة"، وحرمانها من الميراث هي وبناتها كونها "أم البنات". وهذا كله دفع سناء بالقول:

"الوضع اللي أنا فيه قواني، لأنه كلهم بدهم اياك قاصر، وضعيفة"

لنرى بأن هذه المضايقات وهذا الظلم الاجتماعي نتيجة تقاطعية أدوار سناء الاجتماعية والجنسانية، لم تُنهيها على المطالبة بحقوق بناتها، على العكس من ذلك تمامًا، فقد أبرزت سناء قوة وتماسكًا، لم تتوقع يومًا بأنها ستصدر منها، فهي تعلم بأنها المعيل والراعي الأساس لبناتها، وحقوقهن، وأي تقاعس من طرفها، يُعرض بناتها للظلم والاستغلال. لنكتشف من سرديّة سناء وغيرها من النساء المعرضات للاستغلال والاضطهاد، بأن الشدائد تخلق لديهن إرادةً وإيمانًا بأنفسهنّ أشد وأقوى من ذي قبل، فالشدائد لا تصنع الرجال فقط، بل تخلق عند النساء قدرةً كبيرةً تمكنهن من النضال من أجل حقوقهن. الكلمات التي أشارت لها سناء أيضًا في حديثها كـ "قاصر" مؤشرٌ واضحٌ لمدى وعي سناء بحقيقة وطبيعة السياق المجتمعي الذي تعيشه، وهذا الوعي كان دافعًا لتمردها وانتفاضها كما رأينا، وكما عبر عن ذلك فريري.

فاطمة تعرضت لمعيقات وضغوطات اجتماعية أيضًا، وضغوطات تتمثل بـ "كلام الناس"، عنها وعن لباسها، بقولها:

" كانوا الناس يحكوا عن لبسي والمكياج فقعد فترة أبوي وإمي يعلقوا، الحين أخوي واعى، وإله مركز شرطة وقلهم هاي حياتها، وهي حرة فيها، وبعديها ما ضغطوا علي باشي، وأنا مخليهم بالصورة، وين ما أروح وأجي، بس الحمد لله واقفين معي، عالآخر، ومسانديني كثير. وأجاني عرسان، بس أنا رفضت وقلت لأهلي أنا مش ضد الجيزة، بس إذا أجاني حدا برضى بولادي تمام، بس مش رح أتخلي عن ولادي. يعني وين بدى

أخليهم فاش حدا، يعني حرام ولاد صغار بكفيش خسروا الأب. يعني لو فاش
ولاد كان في إمكانية أكمل بس إنه خلص هذا شرطي"

فاطمة تحت الأنظار كونها "امرأة"، "أرملة"، "أم"، وعليها أن تظهر بالصورة التي يريدتها المجتمع، لا كما هي تريد. تعرضت فاطمة لمضايقاتٍ كلاميةٍ كثيرةٍ من قبل الناس بحكم اهتمامها بنفسها، ومحاولتها للتأقلم حتى بعد استشهاد زوجها، ولكنها لم تعلم بأن هذه المحاولات ستضرها أكثر بحكم سياقها المجتمعي هذا. كلام الناس أثار حفيظة أهلها وتدخلوا، وحاولوا ثنيها عما تقوم به، ولكنهم لم يتركوها بشأنها إلا حين تدخل "أخوها" الأكبر، لنجد بأن فاطمة لا سلطة بيدها تستطيع من خلالها إسكات الناس والدفاع عن نفسها، إلا بتدخل سلطة "ذكورية" أخرى لحمايتها. حيث عبرت عن ذلك بكلمات ذات دلالة سلطوية بقولها "أخوي واعي" و "إله مركز شرطة"، فهو ذو مكانةٍ ورأي عند أهلها لكونه ذكرًا في المقام الأول، وواعيًا في المقام الثاني، ورجل أمن في المقام الثالث، تفصيل فاطمة للأدوار التي يقوم بها أخوها هو تفصيلٌ مثيرٌ بالنسبة لي، وكأنها سبق وفكرت بهذا الشيء بحكم تميزه عنها، أو بحكم ما تُظهر عائلتها ذلك، باعتبارها "فاطمة" ذات مكانةٍ دوليةٍ مقارنةً به. وكان لسان حالها يقول: "ما الذي يجعله يتميز عني بنظر عائلتي". ففاطمة بالرغم من كبر سننها، وتحملها مسؤولية ثلاثة أولاد، إلا أنها ما تزال تحت "وصاية" أهلها، ومن المحبذ أن تُعلمهم بتحركاتها، حتى تحافظ على صورتها أمامهم. قد يبدو هذا التصرف مُريح لفاطمة "ظاهريًا"، ولكنه يثير لدينا الكثير من التساؤلات، حول الكيفية التي يتم بها التعامل مع المرأة في مجتمعنا، فقط لمجرد كونها "دون رجل". فهذا يعرضها لمضايقاتٍ كلاميةٍ كثيرة، وتدخلاتٍ من الكبير والصغير، ومراقبةٍ مستمرةٍ ومتواصلة، ووصايةٍ دائمة، وتشكيكٍ بها وبأخلاقها. ففي المجتمعات التي يعاني أهلها من الاضطهاد والقهر، تنشأ حالة من الازدراء للذات وللآخر، وأكثر من يُصيبه الازدراء هي المرأة، حيث تُصب عليها كل مشاعر العار، الضعف، والعجز والرضوخ. وتُسفّل من خلال أدوار الرضوخ التي تُفرض عليها، رضوخ لأب، الأخ، وللزوج، وتُحول إلى أداةٍ للمصاهرة والإنجاب، وإلى خادمة، ومعبرة عن المأساة، وإلى الإنسان العاجز، القاصر، الجاهل الغبي، الذي يحتاج إلى وصيٍّ، تمامًا كحال الذكر المقهور أمام القوى التي تسلطت عليه (الأعرج، 2012). ويتم تذيب القهر والحط من دورها ووظيفتها، لذلك نرى بأن هناك

نساءً مقتنعاتٌ تمامًا بأن أي تدخل من قبل أهاليهن، هو من باب الخوف عليهنَّ وحمائتهنَّ، حتى لو كان هذا التدخل من قبل أخٍ يصغرهنَّ سنًا. ولا تعي النساء بأن هذا الفعل يُعرضها فيما بعد لظلمٍ اجتماعي مضاعف، فهذه النظرة الدونية لها، وضرورة وجود وصاية عليها، يعزُّزُ من فكرةٍ ضعفا وعجزها، ويُشدد على فكرة امتلاكها وتسفيلها. فالمقهور لا يجد مكانة له في علاقة التسلط العنفي هذه سوى الرضوخ والتبعية، والوقوع في الدونية كقدر مفروض. ومن هنا شيوع تصرفات التزلف والاستزلام، والمبالغة في تعظيم السيد، اتقاءً لشره أو طمعاً في رضاه. إنه يعيش في عالم بلا رحمة أو تكافؤ إذا أراد المجابهة أو فُكَّر في التمرد، فسيواجه بقمع لهذه الأفكار، وفي عالم التسلط هذا، يختل فيه التوازن بين السيد والمقهور، ويصل إلى حد فقدان الفرد لإنسانيته، وانعدام الاعتراف بها وبقيمتها (حجازي، 2005). وهذا ما يحدث مع فئة النساء في مجتمعنا.

فاطمة وبعد عدة سنوات من استشهاد زوجها، وخوضها لكل هذه الصعاب لوحدها، باتت مقتنعة تمامًا بأنها قادرةٌ وقويةٌ كفايةً للتصدي ولمواجهة كل ما تتعرض له من مضايقات، وباتت على أتم الاستعداد للدفاع عن حقوقها، وحقوق أبنائها لوحدها، ودون إعانةٍ من أحد، لنجد بأن هذا الاقتناع وهذا الوعي، لم يأتي إلا بعد خوضها معارك اجتماعية ومجتمعية قاسية، خلق لديها حالةً نضاليةً مستمدةً من هذه الظروف، وممن يمتلكن نفس ظروفها، ويقاسين ظروفًا أشد وأقسى، حيث تقول:

" أنا أقلك شخصيتي قويت عن قبل، لأنه الظروف اللي بتصير هي بتقوي الشخصية، إحنا كـ "أرامل" كثير بنتعرض لمضايقات، بس احنا قد حالنا، لأنه بالنهاية بنصون اسم الشهيد وبنصون حالنا قبل اسم الشهيد ونصون أولادنا. وصح بالأول انضغطنا كثير، ومتخيلة تخلفات مجتمعنا، وبالأخص على وحدة أرملة، بس عادي، احنا تعودنا، صار عنا ثقة على أي انتقاد، وأي حكي، أولها كنت متضايقه لما أسمع حكي، بس خلص مدام مش عاملة اشى غلط ليش أسمع الناس "

تشير فاطمة هنا لقضيتين مهمتين، الأولى برزت بقولها: "بنصون اسم الشهيد"، وكأن هذه مسؤوليةً أخرى تضاف لقائمة المسؤوليات التي على زوجات الشهداء التعايش معها وتحملها، وتتمثل في المسؤولية التي يُلقبها المجتمع على عاتقها في "صون" اسم الشهيد

الذي قد يكون بعد الزواج ثانيةً، أو بتقييدهنَّ بسلوكيات معينةٍ تتلاءم وكونهنَّ زوجات شهداء. والقضية الأخرى، تتمثل في أهمية الدور الذي يلعبه انتمائهنَّ لهويةٍ اجتماعية. حيث يغلب على حديثِ فاطمة صيغةَ الجماعة، كونها ملتزمةً مع مجموعةٍ من زوجات الشهداء بلقاءاتٍ شبه أسبوعية. فاطمة ومن معها من زوجات الشهداء أصبحنَّ أشدَّ إيمانًا بأنفسهن، وأشدَّ حرصًا على حقوقهن، وحقوق أبنائهنَّ من ذي قبل، بفضل هذه اللقاءات وهذه التجمعات الإرشادية، مع التوضيح بأن هذه اللقاءات تمت من قبل النساء أنفسهن ودون تدخلات مؤسساتية، تقول:

"احنا بندعم حالنا من حالنا، احنا زوجات الشهداء بندعم حالنا، احنا مش بحاجة لحدنا يدعمننا، احنا عملنا جروب على الماسنجر، ويندعم بعض، يعني بتعرفي الشهيد كثير مُهمش، غير بأوقات المناسبات وحسب التنظيمات. وجمعتنا هاي مع أمهات الشهداء كمان لما يكون في شهيد قريب بنلم حالنا، وبنروح نقف مع أهل الشهيد واحنا هان بنحاول، ونخطط إنه نعمل شغلة، مشان مؤسسات دار الأيتام، إنه لازم نعمل اشئ لأنه هذا حق ولادنا وإذا ما عملنا اشئ بروح حق ولادنا. المشكلة إنه أولها الناس بهتموا بس بعدين الكل بنسى إنه كان في شهيد. في الجمععات يعني فيما لو كان فيه انتقادات بنتحاور مع بعض ويندعم بعض، والمشكلة إنه مش الكل عندها جرأة، يعني روعي على أي أرملة بتقلك لا بقدرش أدافع عن حالي، يعني مش الكل بتلاقي عندها الجرأة. واحنا مجموعتنا مش كثيرة، كلنا خمسة، بس بتكون مناقشات بينا لأنه الفئة قليلة. صح هاي الجمعة أثرت فيّ، بس أنا بنفس الوقت عندي الجرأة، ووقت داري (بناء بيتها) مكنتش أستنى التنظيم، ووصلت رام الله (هي من بيت أمر قضاء الخليل)، لحتى أعمل اشئ، يعني أنا عندي الجرأة أنا مستعدة أعمل أي اشئ الي فيه حق، حتى لو ما في أي مجموعة، يعني الموضوع يرجع لطبيعة شخصية المرأة وقديش قادرة تحكي، بس احنا بحاجة لبعض، لأنه نفس الوجد، ونفس الظروف، وبنعبر عن كل شي جواتنا"

هنا فاطمة تطرح موضوع في غاية الأهمية، ضرورة "وجود الجماعة"، وأهمية الدور، والتأثير الذي أحدثته وتحدثه في حياتها، وتحديدًا في مجتمعنا الجمعي، الذي تسوده الثقافة الجمعية. فتجمعات زوجات الشهداء هنا، ما هو إلا تشكيل وتعريف للهوية الاجتماعية لهن، والتي من خلالها استطعن التجمع ودعم أنفسهن، والتخطيط والتنظيم للوصول إلى حلول جذرية للمحافظة على حقوق أبنائهن "الأيتام". فالهوية الاجتماعية المشتركة تدعم قدرة أعضاء الفئات المحرومة والمهمشة، على العمل سويًا، لمنع أنفسهم من العواقب السلبية لظروفهم، وهي الأساس تُقدم الدعم الاجتماعي والعاطفي والفكري، وأحيانًا المادي، للتعامل مع الظلم الواقع عليهم، كالتمييز، والوصم ومقاومته (Haslam, 2009). وهذا يُذكرنا بمفهوم الحس النفسي للمجتمع أو الإحساس بالانتماء إلى المجتمع Sense of Community الذي أشار إليه الباحثان ماكميلان وشافيس (Chavis & Mcmillan, 1986) باعتباره ذلك الشعور لدى أعضاء الجماعة بالانتماء، والشعور بأن الأعضاء مهمون لبعضهم البعض وللجموعة، والإيمان المشترك بأن احتياجات الأعضاء ستُلبى من خلال بقائهم موحدين. ويرون بأن هذا الشعور يأتي وفقًا لتوفر أربعة عناصرٍ داخل المجموعة، يتضمن ذلك عضويتهم بالجماعة وشعورهم بالأمان العاطفي والاتصال العاطفي المشترك، وحاجاتهم بأن لديهم بعض التأثير في المجموعة، وبكون المجموعة لها تأثير على أعضائها فذلك يعزز من التماسك ما بين أعضاء المجموعة ككل. بالإضافة لوجود تكامل وقدرة على تلبية الاحتياجات، فالأفراد يشعرون بالمكافأة بطريقةٍ ما لمشاركتهم في المجتمع. وبهذا نرى بأن وجود هوية اجتماعية مشتركة يعزز من الحس النفسي بالمجتمع. وهذا لمسناه بصريح العبارة من فاطمة: "احنا بحاجة بعض" "احنا بندعم بعض" "احنا بنتحاور مع بعض" "لأنه نفس الوجد" "بنعبر عن كل شي جواتنا". فهذه التجمعات عززت لديهم الحس النفسي بالمجتمع؛ بسبب توفير المساحة الكافية لهنّ للتعبير والتحاور بشكلٍ آمن، وبالتالي شعورهنّ بالأمان والاتصال العاطفي، وتأثيرهنّ الدائم لبعضهن البعض، والحاجة لاستمرارية هذه التجمعات للبقاء موحّدات والعمل على تلبية احتياجاتهن التي عليهنّ تحقيقها كـ "تخطيهن لاسترداد حقوق أبنائهن من مراكز الأيتام". وهذا ما أكدت عليه مها أيضًا، بقولها:

"بالنسبة إلي هاي الجمعات أحسن اشي سواء إنا أو لأم أسير أو أم شهيد، هاي الجمعات ساعدتني، وأعطتني ثقة، وأسكر على حالي الباب بدون مساعدة أي حدا، يعني بفضل ايماني بالله، بس هاي الجمعات أكثر اشي

ساعدني، كنا نفرغ، ونساعد بعض، هاي الجمعات ساعدتني كيف أتصرف مع ولادي، كنا حاولي أربعين وحدة، وساعدتني كيف أمشي بالشارع وما أستحي"

وهنا مها لا تؤكد على أهمية هذه التجمعات لزوجات الشهداء فقط، وإنما توسع نطاق هذه التجمعات لتشمل أمهات الأسرى والشهداء، وهُنَّ بالتالي يُشكلن دائرة دعم كاملة، يميزهن امتلاكهن لإحساس جمعي عالي، يمكنهن من مساعدة بعضهن البعض. وهذا هو جوهر الحس النفسي بالمجتمع، وقد عبرت عنه كفاح بطريقتها الخاصة، حيث قالت:

" انتِ رحّتِ على الجانب اللي ما حدا اطرقله بالأهمية اللي مرتبطة بالألم، اللي برافق الزوجات، الأمهات، الأبناء، والأزواج، يعني هذه الفئة اللي أنا من عمق دراستي ومن عمق حياتي العملية اللي هي حياة مليئة بالمحطات، مع الزوج مع الأخوة مع الحالة النضالية لألي، أو هذا الجانب من النضال اللي سميته، وأطلقت عليه اسم النضال المساند، والنضال الموازي، ومن كثر نضالات شعبنا، وحجم النضالات الكبير، وطول فترة السنوات، يمكن ما أعطينا المرأة في النضالين حقها، مش بس في نضال واحد. هي المقاتلة وهي حاملة المسؤولية في وظيفتها وفي أمومتها وهي بالتأكيد بتوازي الرجل في العمل يعني هي أم وهو أب والثنين بكملوا بعض لكن فيه جانب عند النساء الفلسطينيات تحديداً استطعن يوجدن حيز من النضال اسمه النضال المساند، فالرجل إذا ما في امرأة بتقف إلى جانبه فهو بعيش الوحدة، وإنه يعيش الوحدة معناته هو رح ينتقص من مكنونته وحالته النضالية، اللي بعبر عن النضال الحقيقي وقوة النضال بنوجدها في شعارات بنطلقها إحنا أو عبارات بنشحن فيها أنفسنا، يعني الأم لما تقول لابنها في زيارة السجون على سبيل المثال شد حيلك، لمن الأم بتودع ابنها بزغرودة وهو شهيد أو زوجها أو أخوها، وهي قصة امرأة ودعت زوجها وابنها وأخوها، فعبرت عن كرامتها وعبرت عن قدرتها على التحمل بزغرودة، يعني هذا هو اللي بنشعر فيه وبنشوفه في نساء شعبنا ورجال شعبنا اللي كلهم ملاحم بطولية"

كفاح تؤمن تمامًا بالدور النضالي الذي تقوم به المرأة الفلسطينية، سواءً كانت زوجة أو أم أو أخت، حتى لو لم تدرك هذه المرأة حجم النضال الذي تقوم به فعليًا، ولكنها تُحدث فارق كبير في حالتنا وسياقنا الاستعماري. فلولا وجود هذه الحالة النضالية، المتمثلة بالحس الجمعي العالي، والقدرة على الدعم والمساندة، لما استطاع الرجل الاستمرار في حالته النضالية، والإبقاء على روحه الثورية لفترة طويلة، ولكنها "كفاح" لا تنفي دور المرأة بالنضال الموازي أيضًا، الموازي للرجل بالفعل الثوري والحالة النضالية، فهي شهيدة، ومقاومة وأسيرة أيضًا، ولكن دورها المساند بحسب كفاح لا يقل أهمية عن هذا، بل قد يفوقه، لما تُحدث من تأثير على كل من تساندتهم، وتقوي من عضدهم. وهذا ما نلمسه من حديث زوجات الشهداء، فهنَّ لم يكتفينَّ بتقديم الدعم لأنفسهن، بل امتلكن حسًا جمعيًا مكنهنَّ من تقديم الدعم لكل امرأة فلسطينية فقدت زوجها أو أحد أقربائها بفعل الاستعمار الاسرائيلي.

حديث كفاح يُذكرنا بنشأة حركة أمهات المفقودين في الأرجنتين، التي أثبتت بأن نضال الأمهات، مهما كان، هو نضال سياسي، وتمسكهن بحقوق أبنائهنَّ هو سياسي قبل أن يكون حقوقي. فهذه هي المقاومة التي ستؤتي ثمارها، وهذا هو "النضال المساند والموازي في أن" كما تقول كفاح. فتمسك أمهات الأرجنتين بوقفاتهن، وتوسع المنظمة، نابع من إيمانهن بضرورة الفعل، وضرورة الصمود لاسترجاع أبنائهن. ففي مقابلة مع إحدى الأمهات، قالت فيها:

"أبناؤنا غُيبوا لأنهم فعلوا شيئًا، لأنهم ثوار، ولأن قضيتهم عنوانها البحث عن حياة أفضل، أكثر عدالة وحرية ومساواة، لذلك لا تقتصر قضيتنا على الدفاع عن عودة أبنائنا لأنهم أبناؤنا، بل يجب علينا أن نكمل الطريق الذي خطوا فيه، وغُيبوا لأنهم كانوا فيه"

وبهذا تُبنى أدبيات أمهات ساحة مايو على أنهن لا يبحثن عن التعاطف مع أمهات مفجوعات، بل التضامن معهن كمناضلات منحازات لكل القضايا العادلة من وجهة نظرهن، داخل وخارج الأرجنتين (السويحة، 2015). وحديث أمهات مايو هذا نلاحظه في حديث زوجات الشهداء، عندما تحدثنَّ عن تأثرهنَّ بخطى أزواجهنَّ، وبفكرهم، وتمسكهنَّ بما تمسكوا به في تربيتهم لأبنائهم. ويذكرنا بنضالهنَّ للحفاظ على حقوق أبنائهنَّ،

والمعيقات الاجتماعية والسياسية التي تحول دون ذلك. والدور الذي لعبه وجود الأبناء في صلابتهن، وقوة إرادتهن، فقدرتهن على المواجهة، وقدرتهن على المسير مجدداً، لم يحفزها شيء كما حفزه وجود أبنائهن، والظلم والاستغلال الذي تعرضنَّ له.

وهنا، لا أود المبالغة في تمجيد هؤلاء النسوة، زوجات الشهداء، وتعظيم ما قمنَ ويقمنَ به، على حساب قوتهن وطاقتهن النفسية، فقد نقع في فخ أسطرتهن، وعدم الإحساس بحجم المعاناة التي خضنها ويخضنها، ليتمكن من الوصول لهذه المرحلة، المرحلة التي حملن معها حساً جمعياً، وقدرةً على المواجهة والنضال من أجل حقوقهن وحقوق أبنائهن. ففي سردية المشاركات لمستحجم الألم الدفين القابع بداخلهن، والذي فرض عليهن السياق إخفائه، والتعامل معه بحذر. تقول سميرة:

"صعبة الحياة، يعني هاشم أنا ما كنت أتحمل أي مسؤولية في الدار من مرة، عمري ما فكرت بدي اشترى على مستوى ربطة خبز، هو كان بأمن كل أغراضنا، لما استشهد صار عبء كثير علي، ولادي صغار، وصحيوا على حزن، وأنا مضطرة أكون قوية، يعني قدام الولاد بضلي تكبتي وبتبيني حالك قوية، وتعوضني محل الأب ومحل الأم، توخذي الدورين كثير صعبة كثير. أولها كنت بصدمة، حتى الدار ما كنت أقعد فيها، كل زاوية في الدار بتذكرني بهاشم، أجي مش مصدقة إنه هاشم مش موجود بينا، وأنجن، وأولها قضيتها عند إخوتي، وبعديها تعودنا صار شوي شوي، وولادي تعودوا. لما الاشى بنفرض عليه الواحد، بدو يتحمل المسؤولية، وبدو يكون قوي، وولادي الحمدالله مش ناقصهم اشى"

تسرد لنا هنا سميرة، معاناتها الأولية مع استشهاد هاشم زوجها. وخلال المقابلة لاحظتُ كمية الألم في حديثها، والمرارة البادية عليها في مرضها، وقلّة حيلتها، على الرغم من مرور ثمان سنوات على استشهادها، إلا أنها ما تزال تشعر بحضوره، وبالفارق الكبير، الذي شكّله غيابُه عنها وعن أولادها. سميرة في حديثها هنا، تعيدنا إلى أسلوب التربية والنظرة المجتمعية للمرأة، المتمثلة في رؤيتها ضعيفة، وقاصر، وبالتالي ممارسة المرأة لحياتها بناءً على هذا الأساس، لتذويتها لهذه النظرة المجتمعية. فالاعتماد الكامل على زوجها، ما هو إلا شعور بانعدام الثقة بقدرتها على تسيير الأمور لوحدها، وعدم إتاحة

فرصة كافية لخوض زمام أمور حياتها، ما أشعرها بعبءٍ مضاعفٍ حالَ استشهاده. هذا الحدث، ألزمها مسؤوليةً كاملةً تقع على عاتقها، في إعالةِ نفسها وأولادها، والمحافظة على أساس الأسرة التي حرص زوجها على بنائها. وقد نجحت في ذلك بحسب قولها، فوجود الأبناء أجبرها على المضي، وإبراز قوة وصلابة لم تعهدها. وقد شكّل الأبناء في حياتها مصدر قوة وضعف لها في آنٍ واحد. تقول:

" عندي صبا (ابنتها) ممنوع أسرح وأزعل قدامها، وملازمتي 24 ساعة، وبتتركنيش أبداً، ومتعلقة فيّ. وهذا الشيء كان بسبب ضغط عليّ. لما يكون لحالي بعيط (ببكي) كثير، بس بتحس إنه الأولاد بالدار كابتين، لأنه الأم إذا حزنت الطفل بشعر معها، وبزعل معها، وبحبوش يشوفها زعلانة، فالأولاد هما مصدر قوة ومصدر ضعف"

وإذا أردنا تفكيك تقاطعية الظلم الذي تعرضت له سميرة، لوجدنا الآتي: الأمومة، وما يحمله هذا المفهوم من عبءٍ ومسؤولية، يُلزمها الظهور بالمظهر الصلب، والقوي طوال الوقت أمام أبنائها. هذا العبء أنهك سميرة، وقد بدا ذلك واضحاً عليها أثناء المقابلة. تقاطعية الأمومة هذه يشترك بها الأبناء والمجتمع على حدٍ سواء. فالأبناء يُلزمون أهمهم لا شعورياً بذلك، يلزمونهم بإظهار القوة والتعامل بحذر مع حزنهم وضعفهم، وكذلك المجتمع يتعامل مع الأم، كونها "امرأة" بالمرتبة الأولى، فهي بنظرهم "آلة" للإنجاب والتربية فقط ومجردة من خصائصها الانسانية، ما يدفعهم لنفي حقها وشرعيتها في الخطأ أو الضعف، أو إظهار أية مشاعر انسانية لا يرضون عنها، وأي خطأ أو مشكلة قد تحدث سواء بوجود الأب أو بغيابه، يترتب على الأم دفع الثمن، إما بتحميلها كل المسؤولية حول ما تم، أو بإنزال أشد وأقدح الشتائم عليها وعلى أسلوبها في التربية، وهذا نلاحظه من خلال نعت الأبناء لأمهاتهم في حال تصرفوا أي تصرفات خاطئة، بقولنا:

"ابن فلانة، ومهو ابن فلانة شو بدو يطلع منه"

ورغم ذلك، نجد بأن هؤلاء النساء اخترن أبنائهن، بعد فقدانهن للزوج، وأثرن النضال والطريق المعقد والشائك، عوضاً عن التخلي عن هذه المسؤولية. وسنجد في سرديّة هؤلاء النساء أيضاً، افتقادهن للدور التربوي للزوج، وانعكاس دورهن التربوي في مساعدة

أبنائهن لهن لاحقًا، واعتبارهم مصدرًا للقوة في كثير من الأحيان، وعاملاً مهمًا في تشكيل حالة من التوافق والتكيف لديهن.

تقول تغريد:

" بعد بشهرين رجعت على شغلي، وبلشت شوي شوي أعود على غيابيه،
وإنه مش موجود وعندي بنت، وهسا بدي أكون الأم والأب والأخ والأخت
إلها، يعني فكرت ببنتي أكثر ما أفكر بحالي وقتها، وللأسف ما زلت بفكر
ببنتي أكثر ما بفكر بحالي، وهذا الشي الحمد لله الحمد لله ساعدني "

تغريد تُخبرنا بالدور الذي لعبه وجود ابنتها في استمراريتها، وإيثار التفكير بها
وباحتياجاتها عوضًا عن التفكير بنفسها. ولكنها لا تنكر، العبء الواقع على عاتقها في
تربيتها لابنتها بمفردها، حيث تقول:

"انت اطلعي (أنظري) كيف لما الواحد أبوه وأمه يربوا، واحد بشد وواحد
برخي، واحد بغيب والثاني موجود، كل واحد إله أسلوبه كيف يربي، وهذا
الشي ما كان عند ريماس، فأنا بدي ألعب دور الأب ودور الأم، وينتا بدي
أشد، ووينتا بدي أرخي، ووينتا بدي ألعب دور الأب، ووينتا بدي ألعب دور
الأم، خاصة إنه كنت أطلع وأشغل، فكانت هاي الفترة عند ستها، والبنت
قعدت فترة كثير غلبتني، ليش أبوي راح! ليش أبوي تركنا!، لما مثلاً
يروح خالها من شغله كيف يركضوا ولاده عليه، فتصير تسأل، ليش اليهود
ما طخوا خالي وطحوا أبوي!، فيعني كانت تسأل أسئلة، يعني للأمانة أفلك
لليوم التربية كثير صعبة، ومش سهل تكوني بمحل تلعبني أكثر من دور
بنفس الوقت، وأنا دايمًا أدعي وأقول يارب تساعدني، وتعيني نكون من
الصالحين البارين، وتدلني كيف أربيها، يعني لدرجة كنت أفوت على
مواقع "كيف أربي الاطفال" ومواقع تساعدني وكنت أستفيد من هاي
الأشياء، وصاحباتي الأكثر مني خبرة ساعدوني شو أعمل، وكنت كثير
أغلب، وكنت كثير أغلط في أشياء معاهما، إنه ما أتصرف بالطريقة الصح،

بس بشكل عام حاولت أكون الأم المثالية وألعب معها دور الأم والأب والأخ، ولسا الطريق بأوله، وما يعرف لقدام الله يعيني على ترباتها"

تغريد تضعنا في وسط المعاناة التي عاشتها وتعيشها كل يوم مع ابنتها، عبء التربية، وعبء الأسئلة المتكررة من ابنتها حول شرعية ما حدث، وافتقادها للدور التربوي الذي كان من المفترض أن يقوم به زوجها كأب، وكزوج، في التخفيف من عبء هذه المسؤولية، والدور الذي يلعبه توزيع الأدوار بين الزوجين في التخفيف من حمل وثقل المسؤولية لوحدها. تغريد تمثل شريحة كبيرة من زوجات الشهداء، وهذا ما سنراه من سردية باقي المشاركات أيضاً، فالقيام بعدة أدوار في آن واحد، يلزم الأمهات بمسؤولية كبيرة، قد لا تستطيع تحملها بمفردها، لذلك نرى تغريد تستعين بمواقع الكترونية تهتم بالأطفال وتربيتهم، ونراها تطلب المساعدة ممن هم أكثر خبرة منها، وتستعين بالله، بأن يُعينها ويقويها. ورغم هذه الخبرة، إلا أنها ما تزال ترى بأنه بإمكانها أن تكون أمًا مثاليةً، لا تُخطئ في تربية ريماس، وتحاول ذلك. هذه النظرة المثالية، هي امتداد لنظرتنا لشكل الدور الذي نريده من أهالينا، الدور المثالي الكامل، البعيد كل البعد عن المنطق الإنساني، المنطق الذي يُشرعن بالضرورة طبيعتنا البشرية الناقصة. هذه النظرة تُحْمَلنا وتُحْمَل أهالينا فوق طاقتهم، لذلك نرى تغريد تُحْمَل نفسها فوق طاقتها وتُنافي طبيعتها البشرية. قد تكون هذه النظرة أيضاً امتداداً لنظرة مجتمعنا للمرأة، وطبيعة الأدوار التي تقوم بها، والشكل الذي على المرأة الالتزام به، والتضحية المطلوبة منها، سواء كانت فتاةً في مقتبل عمرها، أو أمًا تُعيلُ أسرتها. وهذا يمثل تقاطعية الظلم الموجه للمرأة بفعل تقاطعية الوظائف الاجتماعية للمرأة، والتمييز الجندي. والذي اتضح وسيوضح معنا في حديث باقي المشاركات.

فاطمة تشارك تغريد في طبيعة العبء الكامن في تربية الأولاد بعد فقدان الزوج، بقولها:

"ولادي كانوا متعودين عليّ أكثر من أبوهم، ومكنوش يشوفه كثير، بس اللي بحزن مروان الصغير، لأنه بضل يسأل بأسئلة بتموتني، هاي هي المأساة عندي، وهذا الشي اللي بقهرني، وبتعامل مع الموضوع إنه أبسّط الأمور، وأحاول أجابوه. يعني مرات بقدرش أجابوه لأنه يعرف أبوه بالصورة بس وهو أكثر اشي بقهرني، مشان هيك كنت الهم الأب والأم

والحمد لله ما قصرت في تربائهم وما حدا ذم فيهم وربيتهم زي ما كان أبوهم وأكثر "

فاطمة تمكنت من بناء بيت لها ولأبنائها، وتمكنت من مواجهة مضايقات الناس وتدخلاتهم في حياتها بعد استشهاد زوجها، وتجاوزت كل المعوقات التي قد تحول دون حصول أبنائها على حقوقهم، واستطاعت مع مجموعة من نساء الشهداء تحصيل حقوق أبنائهن والتفكير بحلول جذرية لبعض مراكز الأيتام حتى لا تضيع حقوق أبنائهن. على الرغم من كل ما حققته إلا أنها لم تنكر القهر الذي يملكها إلى الآن من أسئلة ابنها الصغير، الذي لم يتسنى له التعرف على والده، لولادته بعد استشهاد والده بشهور. ولم تنكر أيضاً العتب الذي توجهه لنفسها حين مضايقة أبنائها أو التشديد عليهم في أمر ما. وتستذكر زوجها ولينه في التعامل مع أولاده، وإصراره على عدم أذيتهم وضربهم حتى لو استدعى الأمر ذلك، كما تقول. وهذا يشير لحجم تأثيرها وافتقادها لدور زوجها التربوي معها. فهي وإن استطاعت القيام بعدة أدوار، إلا أنها تدرك بأن هناك ثغرات إنسانية لا تستطيع سدها وإشباعها مهما فعلت، كاحتياج الأبناء لوجود الأب في حياتهم، والمشاعر التي قد يستمدونها من وجوده بينهم. وعدم الإحساس بالنقص عند وجود آباء آخرين، أو أسر كاملة الأركان.

سماح تجربتها مختلفة عن تجربة تغريد وفاطمة، فقد اختارت تكملة طريقها برفقة زوج يساندها، اختارت الزواج من شقيق زوجها السابق الشهيد، حتى تخفف من عبء المسؤولية الواقع على عاتقها، حيث تقول:

" تزوجت أخوه بدون غصب، وبدون إجبار، لحالي يعني، لأنه كان عندي ثلاث أولاد، وين بدي أروح فيهم هذول!، ولإنه شو ما عملي ما رح تخلصي من كلام الناس، وهينا عايشين ومناح وأنا يشتغل. فأنا صرت أفكر إذا بدي أضل بلا حدا أنا مش رح أملص (أخلص)، وثاني اشي صعب أعيش العيلة كلها، وصعب أضلني بوسط عيلة (تقصد عائلة زوجها)، مع إنه كثير مناخ وما شاء الله عليهم، فتزوجت مش عشان الناس كانت تحكي، في النهاية مش رح أحملهم وأروح فيهم (تقصد أولادها)، مش رح يقبلوا، فكان يعني، أنا بحكيلك ما حدا جبرني، وأنا اخترت هيك تكون الحياة، وبختصر على حالي كثير مشاكل وحكي ملوش لزوم، وبضل بالنهاية

بداري (بيتي) وبصرش (لا يحدث) بالنهاية أي مشكلة على الأولاد، وبخفف عني العبء، يعني أقلك في كثير زوجات أولها بتحكي أنا ما بتزوج بعده، بس بتمر عليهن سنة سنتين، وشفت حالات وخلص ببرد الشئ وبتصيير الوحدة إنه عنجد أنا محتاجة حدا عندي. الزواج أسهل من كل النواحي، أكون لحالي أنا وزوجي وولادي، بتحس بهدوء، وهالزواج خفف علي 90 بالمية"

سماح تُمثل نموذج من زوجات الشهداء ممن ارتضين الزواج للتخفيف من كمية المسؤولية الملقاة عليهن، والعبء الكامن وراء سلوك الطريق المغاير، لوحدها ودون زوج. سماح تعي بأن مجتمعنا يُحتم على المرأة الاستعانة برجل ليعينها على المضي، وليخفف عنها ثقل النظرة المجتمعية القاسية، المتمثلة بالكلام الكثير عليها، والتشكيك في أخلاقها. تزوجت بعد استشهاد زوجها بسنة كاملة، لوجود ثلاثة أبناء عليها تحمل مسؤوليتهم لوحدها، وبعد الإشاعات الواسعة التي طالتها، وطالت زوجها الحالي. نلاحظ تكرارها لجملة "تزوجت لحالي دون إجبار"، عند التفكير بهذه الجملة منطقيًا، نرى بأن قرارها بالزواج لم يقع تحت دائرة الخيارات المفتوحة، حيث لم يكن هناك الكثير من الخيارات المنصفة لها. ظاهريًا لم يتم إجبارها، لا من أهل زوجها، ولا من أهلها حتى، ولكن الظروف حتمت عليها هذا الخيار، فعليًا أجبرتها على سلك هذا الطريق. وهذا الخيار جاء من طبيعة الممارسات الاجتماعية التقليدية التي تُحتم على "الأرملة" الزواج من شقيق زوجها، وفي بعض المجتمعات والثقافات يتم إجبارهن على ذلك. حيث تعاني المرأة بعد وفاة زوجها من صراع اجتماعي، يتمثل في رفض سُكناها في بيتها وحيدة، أو السكن مع أهل فقيدها، لذلك يكون الخيار تزويجها من أخ الفقيد، لكيلا يبتعد الأولاد عن أهل زوجها. وإذا كان الزوج شهيد، يتم إجبار الزوجة على الزواج للحصول على مستحقات الشهيد، وعدم استفراد الزوجة بهذه المستحقات هي وأبنائها وحدهم. عدا عن المعوقات الاقتصادية التي قد تواجهها، كافتقارها للمعيل الرئيس، في حال كونها عاطلة عن العمل، أو ربة بيت. بالإضافة لمشاكل في الميراث، تصل إلى حد حرمان بعض الزوجات وأبنائهن من حقهم الشرعي في الميراث. لذلك يرى البعض بأن زواج "الأرملة" من شقيق زوجها هو الحل الأمثل، والأنجع لهذه الأسرة. دون مراعاة لمشاعر هذه المرأة، والتفكير بمدى قدرتها على

هضم ومعايشة فكرة الزواج ثانيةً عمومًا، ومن شقيق زوجها على وجه الخصوص. من الجيد هنا، وعي حنين بذاتها وبمدى قدرتها على التحمل، واختيار ما يناسبها، ويناسب أبنائها، ولكن هذا لا ينفى طبيعة الظلم المجتمعي الواقع عليها، والذي دفعها لهذا الخيار دون غيره. دفعها للتفكير بالزواج كخيار وحيد للنجاة من كل هذه الممارسات والمضايقات.

سماح ترى أولادها هم المسبب الرئيس لكل خياراتها، وتحديدًا خلال المراحل الأولى من فقدانها لزوجها، فلولاهم لما تزوجت، ولولاهم لما اقتنعت بالعمل، على الرغم من دراستها للحقوق، إلا أنها لم تفكر بالعمل إلا بعد استشهاد زوجها بعام كامل. تقول:

" ولادي كانوا مصدر قوتي، ولولاهم ما اشتغلت يمكن، إنه السبب الرئيسي اللي أنا طالعة عشانه مشانهم ومشان ما ينقص عليهم اشي، وما يحسوا بالنقص بالرغم إنه مش بس شغلي اللي محسسهم بهالشي ودار حماي مش مقصرين معهم، بس بالنهاية فش حدا دايم لحدا"

لنرى هنا، الدور الذي تلعبه الأمومة في تكيف زوجات الشهداء، واستمرار يتهن رغم كل ما يحول دون ذلك.

زَيْنَب، نالت من أهل زوجها الشهيد الويلات الكثيرة، حاولوا اضطرهادها أقصى اضطرهاد، ولم يتوانوا عن استغلالها لحظةً. وكانوا يلاحقونها حول ما يحصل عليه زوجها الشهيد من مستحقات مالية. لذلك كانوا يتمنون زواجها، لتستقل عن الأولاد، ويستولون على المستحقات. تقول:

"كانوا يستنوا فيّ مشان أتزوج، بس فشرت عينهم، أنا رافضة، وبدي أضل أربي الأولاد، ويضلوا يشوهوا سمعتي يسوا اللي بدهم اياه، بستنوا فيّ أتزوج، وبتشوه في سمعتي من الناحية هاذي. ولحد الآن مشاكل، وحرابة وبحكيش معاهم من 3 سنين. منعوا أهلي يجيوا عليّ لأنه الدار دارهم، بس أنهم يجيوا على الدار ممنوع. وأنا معيش ولا شهادة ولا اشي، لأنه الأولاد ربطوني. لأنه إذا بدي أروح على شغلي وين بدي أترك الأولاد، والناس برحموش إذا دشرتهم بمحل، الناس بقولوا هيهما دشرت ولادها وراحوا. وأجاني عدة شغل، لو بقدّم شغل على الكمبيوتر، بس أنا مربطن الأولاد،

بلاش يصير فيهم ويقولوا هيهما دشرتهم وراحت فقلت خلص بنربي
هالأولاد"

بات جليًا وواضحًا مدى تحكم الأولاد في حياة زينب، وكان حياتهم كلها محكومة بكل قرار شخصي تتخذه في حقها، حيث أنها لم تستطع الابتعاد عن أهل زوجها رغم المضايقات، حتى لا تحرم أولادها من حقهم الشرعي في منزل والدهم، وحتى لا تقطع صلتهم بجدهم وجدتهم. ولم تستطع الزواج خوفًا من حرمانها من أولادها، وتعريضهم لظلم أشد من كونهم "أيتام" بحسب قولها، وحتى أنها لم تستطع قبول عروض العمل التي تلقتها، على الرغم من عدم امتلاكها لأيٍّ من المؤهلات العلمية. ولكن يبدو واضحًا أيضًا، مدى مراعاتها لاعتقادات الآخرين عنها وعن سلوكها، فعدم مقدرتها على اتخاذ قرار للزواج وللعمل نابع من خوفها الكامن من حكم الناس عليها وعلى تقصيرها مع أولادها، بالإضافة لحرصها على مصلحة أبنائها أولاً. لنجد بأن تداخل القضايا الاجتماعية في حياتها، كونها أرملَةً وأمًّا وامرأة، استدعى وجود ظلم مضاعف، ومسؤولية أكبر في حياتها، وتقاطعية ما بين الوظائف الإنتاجية، ووظائفها الاجتماعية، فرفضها لعروض العمل، جاء من عدم مراعاة هذا العمل لطبيعتها كأم، بحكم العمل لساعات طويلة ومتأخرة في بعض الأحيان، وترك أبنائها لوحدهم ودون مسؤول خلال ساعات العمل هذه، وهذا ما ترفضه زينب. حيث تؤثر أبنائها وقضاء جُل وقتها معهم، على المكوث لساعات طويلة في العمل، الذي قد يُكسبها من الناحية المادية، ولكنه قد يعرضها لخسارة أبنائها. وكذلك ترفض الزواج الذي قد يحرّمها من أبنائها، فنادرًا ما نرى رجل يقبل الزواج بامرأة "أرملة وبأولادها"، فالكثير ممن يطلبون الزواج من المرأة "الأرملة"، يشترطون عليها ترك الأولاد عند أهلها، بعضهن يقبلن بذلك "ولهن ظروف القبول بذلك"، ولكن الكثيرات منهن يؤثرن الحياة وحيدات مع أبنائهن، على تركهم والاستغناء عنهم. تقول:

"الأولاد مصدر قوة عندي في كثير شغلات، ولولا الأولاد ما تحملت كل هاي الضغوطات من دار حماي، لولاهم ما قعدت عندهم دقيقة، ورجعت عند أهلي وشففت نصيبي، بس رجعت لحتى نوخذ حق اليتيم. لأنه بديش كمان دار حماي يحقدوا على الأولاد أو الأولاد يحقدوا عليهم لأنه بديش يوخدوا فكرة إنني مانعتهم عن اشي، ولو بالوقت الحالي بدي أدشرهم لمين

بدي أدشهم لأنه دار حماي كبار، يعني الوحدة مش عشان سعادتها تتنازل
عن كل شي"

فالعائلة وحدة إنتاجية واقتصادية ونواة للتنظيم الاجتماعي، واعتبار العائلة كذلك، يجعل من
القرارات الأساسية ذات شأنٍ عائلي وليست بالشأن الفردي (بركات، 2000).

ختام أيضاً، ترى بأن أولادها مصدر قوة لها، وأحياناً مصدر ضغط:

"الأولاد يعطوني أمل في حياتي، وقوة وقدرة أكمل، وعندني ولد كفيف
سببلي ضغط ومسؤولية أكبر. وبضل خيفة عليهم، إذا تأخروا أو صار
اشي، حتى هما تضايقوا من خوفي عليهم"

هذا الخوف عند ختام مبرر، وسَيُبْرَرُ، فالأم حين فقدانها لزوجها، وتَضَاعُفُ المسؤولية
على كاهلها، لا تفكر إلا بأبنائها، ويتمركز كل اهتمامها على حيواتهم، ومستقبلهم. لذلك
تخاف من فكرة فقدانهم، وفقدان من أفنت حياتها لهم ولأجلهم، فهم مصدرًا أساسيًا
لاستمراريتها، وعاملاً مهمًا في تعايشها بعد فقدانها لشريكها. وغيابهم عنها قد يهدد المعنى
الذي تحيا من أجله ولأجله، المعنى من وراء وجودهم. لذلك حرصها المبالغ قد يُفسر خوفًا،
وقد يُزعج أبنائها أيضًا، لاعتقادهم بأن هذا الخوف ما هو إلا امتلاك لشخصهم، وعدم
إعطائهم الحرية الكافية.

شريفة تسرد لنا كيفية تعاملها مع تفاصيل الحياة بعد استشهادها:

" كان منيح ما شاء الله عنه، ومحبوب عند كل الناس، واجتماعي ما يزعل
حدا، كان يخفف عني حمل كبير، مجرد ما استشهد صرت أقوم بدور الأب
والأم، ويا ريتنا قايمين بدور الأب والأم، يعني الحمد لله دورنا صعب.
طبعاً احنا بعد ما استشهد مرينا بلحظة صعبة، بعد 5 شهور استشهدوا
اخوتي، وحاليا بس جوزت بناتي صرت أحس بالوحدة، هسا بلشنا نشعر،
بعدين الأحداث اللي بتصير كفيفة تنسي النبي آدم، بالعكس بحاول يصبر
حاله ويواسي حاله ويخلق جو مرح يخليه يتناسى"

فقدت شريفة زوجها أثناء اجتياح مخيم جنين، ما تبعه من فقدان لإخوتها بعد خمسة شهور من استشهاد زوجها، والتنقل ما بين أكثر من منزل بعد اجتياح المخيم، للمكوث في مدرسة الوكالة فترة قصيرة، كل هذه الأحداث المتسارعة أجبرتها على عدم التفكير بفقدانها لزوجها مطوياً، بل العمل على التخفيف من حدتها عليها وعلى أولادها، وعلى من تشاركها ويشاركها في هذا المصائب. تشير شريفة إلى دور بناتها وابنها الوحيد في التخفيف من وطأة هذه الأحداث، وكيف باتت مؤخراً تشعر بالوحدة، بعدما كانت تخلق أجواءً من المرح والفكاهة للمضي والاستمرارية لها ولبيتها. لنرى انعكاس دورها في تربيتهم، والاكتفاء بهم، على دورهم في التخفيف عنها من وحدتها، وحزنها لاحقاً. حيث تراهم شريفة مصدرًا لقوتها، ومصدرًا ضاغظاً في آن، ولكن أود الرجوع إلى كلامها حين قالت: "يا ريتنا قايمين بدور الأب والأم" فهذا مؤشرٌ لحجم العبء الكامن في قيامها بدورين في آن، والذي قد يجعلها تعتقد بأنها مقصرة حتى في دورها كأم.

تقول:

" وجود ولادي كان بمثابة ضغط وقوة. ضاغطيني بس معطيني قوة. يعني الحمد لله الله قدرني على حمل الرسالة"

لتشاركنا بعبء المسؤولية وعبء التربية الملقاة على عاقتها بعد استشهاد زوجها:

"بعد استشهادها كانت تربيتي صعبة، تكوني بدور الزلزمة والمرأة (المرأة)، يعني الدار بحاجة لزلزمة، إذا خرب اشي بالدار بدي الزلزمة. يعني الوحدة (المرأة) ضعيفة بحق نفسها تتصل على فلان وسويلي (اعمل)، لو عندها بوقف معها وبسويلها، بتحس إنك عالية على المجتمع. بعد الزوج فش أمان، الزوج أقرب اشي للمرأة (للمرأة) وفش اشي بعوض عن الزوج. لو مكنش فيه أولاد ممكن أتزوج"

شريفة تعيدنا لذات المشهد من جديد، مشهد الاتكالية، النابع من طبيعة السياق، وطبيعة الثقافة المسيطرة في مجتمعنا. شريفة تخبرنا بصعوبة لعبها دورين في آنٍ واحد مع أولادها، الدور المفروض عليها بحكم فقدانها لصاحب هذا الدور وهو زوجها، والدور المهيأة للقيام به. تشاركنا بحجم الصعوبة التي واجهتها في البداية في إنجاز أبسط الأمور

في منزلها، ومع أولادها، بحكم عدم تجربتها لهذه الأمور من ذي قبل، واعتمادها التام على زوجها في ذلك. حيث انتابها شعورٌ بانعدام انتاجيتها، وانعدام دورها وأهميتها، لتصف نفسها بأنها "عالة على المجتمع"، فقط لكونها لا تستطيع انجاز ما عليها من مهامٍ بدت لها صعبةً في البداية، وأشعرتها باحتياجها لـ "ذكرٍ" ليقوم عوضاً عنها بهذه المهام. لتكتشف بأن مصدر الأمان مفقود في حياتها، المتمثل في "الزوج"، فهي ترى بأن الأمان الذي تبحت عنه لا تجده إلا بوجود رجل يُعينها ويخفف عنها ويشعرها بالأمان. وبأنه لولا وجود أولادها لما توانت للحظة عن الزواج، وإدخال رجل في حياتها، ليشعرها "بالأمان" المفقود حالياً.

مها تجربتها اختلفت في كونها قد أصيبت لحظة استشهاد زوجها، وذلك خلال اجتياح مخيم جنين، ودخلت في غيبوبة حرمتها من توديع زوجها، لتخفيف صدمة فقدانه، ولكنها تشارك شريفة وأغلب زوجات الشهداء بتفاصيل عبء وثقل الحمل الملقاة على كاهلها بعد فقدان زوجها، وحجم الاعتمادية عليه في أدق التفاصيل، حيث تقول:

" تصاوبت وقعدت 14 يوم بغيوبة، ما ودعت زوجي وما كان حدا يجي على المستشفى، فش حدا يتواصل معي، اللي يجي عندي أقلهم اسألوا عن زوجي، ويروحوا وما يرجعوا. كان يجيوا أجانب ويشرحولي إنه استشهد، وأنا رافضة الفكرة، رافضة الموت. ابني 11 سنة، ونديم 10، ونيفين سننتين. لما حكولي زوجي استشهد حسيت بحمل ثقيل، لأنه خلالي (ترك لي) 3 أولاد، وابني كان واقع عن الدرج، وصابته صعقات كهربائية، ولما رحى على البيت ضليت، كان عنا جيران وتبعون (مختصين) الإرشاد، ويساعدوني كيف أتعامل مع الحياة، يعني زوجي كان يعمل كل شي حتى الزبالة"

كفاح تقول:

"في اللحظة اللي عرفت فيها الخبر، ضاع كل شي مني إلا شغلة وحدة، هما هبة ويوسف (أولادهما)، كيف بتلقوا الخبر، شو شعورهم، ومين واقف معهم، مع إنه كل الناس حوالهم بس وجودي أنا كان مشكلة بالنسبة للي، إنه أنا مش معهم، هذا أكثر اشي لليوم بس أتذكر هالموقف كان صعب، والهاجس الأكبر هو هبة ويوسف، وما كان عندي شيء ثاني، كيف يكونوا قويين وكيف يكونوا على قد حالهم. فأنا لما التقينا أنا والأولاد في المراسيم، ما اهتميت فيها بقدر إني أحضن ولادي، وأكون واقفة لجنبهم، أواسيهم وهما يواسوني كمان، كان هذا الهاجس الأكبر بالنسبة لإلي. عبدالله تعرض وهو بكنيسة المهدي لثلاث أربع محاولات اغتيال، وكل يوم كان الاحتلال بدو يغتاله، لأنه هو كان قائد الحصار، ولكن ربنا كان كاتبله العمر، فأنا حكيت لولادي على وجعهم وآلمهم، إنه الله أعطاه 8 سنوات، كان عبدالله في أي لحظة ممكن يستشهد، ولكن الله أعطاكم فسحة تتعرفوا عليه أكثر، وتشوفوه أكثر وتتعلموا منه أكثر، يمكن كلماتي هذه كانت تأثر كثير في ولادي، تحديداً الولد، يوسف، يوسف بتذكر في الإبعاد قبل استشهاده كنا نيجي هون (فلسطين) ونروح عند أبوه (الجزائر)، وكان فيه عيد، ويوم العيد فتح مناحة (بكاء شديد)، شو مالك، كل ما يفوت حدا على البيت مش مستوعب رجل يفوت على البيت، خال، عم، أي حدا، ويقول أنا بس بدي أبوي، ليش كل الناس عندهم أب وأنا معنديش، ليش أبوي ما يفوت علينا، أنا كنت مدركة احتياجه لوالده خاصة إنه بعمر المراهقة، بس قديش أنا كنت موفرتهم كل شي، بس في جوانب صعب توفريها، وسافرنا بعد استشهاده خصوصي عشان يوسف، عشان يوسف ما يشعر بالوجع اللي وجعني اياه لحظة الإبعاد. مسيرة الحياة صعبة مع فقدان أحد الأبوين، لأنه في محطات الحياة اليومية صعبة، ولكن في مراحل يوم عيد، ويوم زواج، ويوم موت، هاي المحطات بتكون صعبة كثير"

زُوج كفاح من المبعدين على أرض الجزائر، كونه كان قائداً لمحاصري كنيسة بيت لحم، وتوفي في إبعاده، لذلك هم يعتبرونه شهيداً. استشهد زوجها في الجزائر بعد صراع مع المرض، استشهد بعيداً عن وطنه وأولاده، وكانت كفاح بجواره. كفاح نُخبِرنا بأن ابتعاد أولادها عنها في هذه اللحظات كان من أشدها وأقساها. حتى عند استحضار هذه الحادثة، بكت كثيراً، ولم تتمالك نفسها. ترى بأن هذه اللحظات صعبة، لأنها لم تتمكن من احتضان أولادها وقتها، ومواساتهم، والتخفيف من مُصابهم. ايمان كفاح بالله، وبعطائه وقدره، كان دافعاً لها للتخفيف عن أبنائها، وإخبارهم بطبيعة حياة والدهم السابقة، والتي حنّمت عليهم انتظار نبأ استشهاده في كل حين، إلا أن الله أكرمهم بحسب قولها، ومنحهم ثمان سنوات أخرى، ليتمكنوا من معاشته أكبر قدر ممكن. كفاح قالت جملةً مفادها "في لحظة استشهد زوجي كل شيء ضاع مني إلا شغلة وحدة هما هبة ويوسف" وفي ذلك دلالة واضحة حول المكانة التي تُشكلها هويتها كأم في حياتها، فمن حديثها كان واضحاً بأن هذه الهوية تلعب أولويةً أولى في حياتها وما يعترضها من مواقف اجتماعية. تتحدث أيضاً عن ثقل المسؤولية الكامنة في تربية الأبناء في ظل غياب الأب، فهي تعي ضرورة وجوده في مراحل معينة في حياة أبنائها، وتحديداً "يوسف" كونه ذكر، في عمر المراهقة، ويحتاج لوجود والده بجواره خلال هذه المرحلة. وهي بذلك تشير إلى افتقادها للدور الذي قد يلعبه الأب في تشكيل هوية الأبناء، وتحديداً في مرحلة المراهقة، لما تحمل هذه المرحلة من أهمية في تشكيل وتكوين لهويتهم. ولكنها تستطرد حديثها، بذكر فضل وجودهم في حياتها، وضرورة وجودهم بعد استشهاد زوجها، حيث شكّل وجودهم فارق في طبيعة تعاطيها مع الحدث، تقول:

"أولادي مش مصدر ضعف، هما ثقل المسؤولية، وهما مصدر قوة، أنا لو إنني فقدت عبد الله ومكنتش موجودة هبة ويوسف كان ما قدرت أرجع للحياة، يعني هما اللي رجعوني للحياة من جديد، أنا قعدت أربع سنوات ونص ألبس أسود ومقدرش أشوف إلا الأسود باللبس، اللي خلاني أخرج من هاي الحالة هما ولادي، وأجبر حالي أخرج منها هما ولادي، بطلوا يحبوا اللون الأسود، الأم بتتعاطى مع أبنائها، فهما فعلاً الأبناء هما اللي بخلوا الزوجة تبلش من جديد"

لتؤكد كفاح في حديثها هذا، أهمية وجود الأبناء في مثل هكذا ظرف، والمعنى الذي تستمده الأم من وجودهم، والحالة النضالية التي تُخلق عند الأمهات للدفاع عنهم. فعلى الرغم من ثقل المسؤولية التي يفرضوها على والدتهم، إلا أنهم يُشكلون عاملاً مهماً ومساعدًا لها في البدء من جديد.

ومن هذه السرديات، المتعلقة بجزئية وضع نساء الشهداء، وتقاطععية قضاياهن، نخرج بعدة استنتاجات تتمثل بالآتي:

- يقظة الوعي الانتقادي تقود إلى التعبير عن مشاعر السخط الاجتماعي، ومشاعر السخط ما هي إلا مكونات حقيقية لوضع قمعي وجائر (فريري، 2003). فبحسب فريري تعبير زوجات الشهداء عن مشاعر السخط تجاه ما واجهنَّ ويواجهنَّ من ظلم مجتمعي، ما هو إلا تعبيرٌ واضحٌ وصريحٌ عن الوعي النقدي الذي بدا واضحاً وجلياً من حديثهن. حيث باتت غالبية المشاركات على وعيٍ كبير لفكرة التقاطع المجتمعي لما يحملن من قضايا متداخلة، حتى لو لم يتم تأطيرها بشكلٍ صريح من قبلهن، إلا أن تداخل القضايا الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية، التي يوجهنها خلق مستويات من الظلم والاضطهاد الواقع والممارس بحقهن، ما دفعهن لخلق حالة نضالية تمثلت بقدرتهن على المواجهة، وقدرتهن على إظهار تماسكٍ وقوةٍ في الدفاع عن حقوقهنَّ وحقوق أبنائهنَّ، تمثل في تشكيل ذواتهنَّ، وتشكيل حالةٍ من التوافق المجتمعي المتمثلة في قدرتهن على إكمال طريق ونهج الشهيد في المحافظة على إعالة الأسرة، وتربية الأبناء، واتخاذ كنموذج يحتذى به، سواءً في التربية، أو في التعاملات الحياتية المختلفة. عبرت المشاركات عن المعيقات الاجتماعية التي تعرضن لها حال فقدانهن لأزواجهن، وكأن غياب الزوج كشف الوجه الحقيقي لما يحمله هذا المجتمع من نظرة دونية للمرأة. على الرغم من الاضطهاد الممارس عليها منذ الصغر، إلا أن الوعي بمفهوم ونوعية وطبيعة الاضطهاد لا يتم الوعي به أو حتى المقدرة على التعبير عنه إلا بعد افتقادها لمصدر حماية "ذكوري" يخفف من وطأة ما يمارس بحقها. بمعنى أن غالبية المشاركات لم تستطع التعبير عن هذا السخط، إلا عندما فرض عليهن الواقع المواجهة لوحدهن. فإحساس الزوجة بكونها المحارب الوحيد في هذه الساحة دفعها

للاستبسال وإظهار كل ما لديها من قدرة وتحدي، حتى لا تهضم حقوقها وحقوق أبنائها. فعند إشارتنا إلى تعرض النساء للتقاطع المجتمعي، نقصد بذلك تعرض المرأة لمستويات من الظلم والاضطهاد نتيجة كونهن، نساءً وأرامل، وأمّهات. فتعرض نساء الشهداء للظلم بسبب نوعهن الاجتماعي، ظهر بصور متعددة ومتداخلة مع قضايا أخرى. فكونهن من فئة النساء، هذا يشرعن عند البعض التدخلات في خصوصية حياة النساء، والتضييق عليهن من ناحية الزواج، ومحاولة استغلالهن وحرمانهن من الميراث، والنظرة الدونية لهن، والحد من شأنهن، والحد من أدوارهن الاجتماعية والسياسية والمهنية، وكل ذلك نابع من التمييز الجندي الممارس بحق المرأة عمومًا في مجتمعنا، ليتداخل ذلك ووضع المرأة قانونيًا، لنجد افتقار محاكمنا لقوانين تُجرم الاضطهاد الممارس بحق النساء الأرامل، وحرمان البعض منهن من الميراث، وحقوقهن من تركة أزواجهن. وهناك من تعرضت لمعوقات اجتماعية تتمثل بمضايقات أهل زوجها لها والتضييق عليها لتتزوج وتترك لهم الأولاد، وما يصلها من مستحقات مالية، ولكنها لم تستجب لمضايقتهم، وآثرت المكوث مع أبنائها، رغم كل ما تتعرض له من مضايقات، فالزواج يعني تركها لأبنائها، لاشتراط أغلب من يتقدمون للارتباط بهؤلاء النساء أن يتركن أبنائهن، لذلك يرفضن، خوفًا من حرمان هؤلاء الأبناء من وجود الأم والأب في آن واحد، كما تقول إحدى المشاركات. لنرى بأن المجتمع أيضًا لم يُنصف المرأة في ذلك، ولم يبادر في اتخاذ نموذج نضالي وطني يتمثل في الزواج من "أرملة الشهيد" والتكفل بالأبناء، حرصًا وحفاظًا على إرث الشهيد وعائلته، وتأمين السكن والطمأنينة لبعض المشاركات، كما عبرن. فغالبية المشاركات لم يعارضن فكرة الزواج من الأساس؛ إذا تم التكفل بالأبناء، وهنّ بذلك يعبرن عن حاجتهن الطبيعية في الارتباط مجددًا بزواج يتحمل جزءًا من العبء المتراكم، ويؤنس وحدتهن، ويساندنهن في المسؤولية الواقعة على عاتقهن.

- الأمومة السياسية، وخلقها لحالة نضالية عند الأمّهات تلزمهن بضرورة الفعل والنضال للحفاظ على حقوق أبنائهن واستردادها. وبالتالي خلق حالة من التكيف والتوافق لدى هؤلاء النسوة تمكنهن من الاستمرارية. تطرقت أثناء ذكر سرديات

المشاركات فيما يتعلق بهذه الجزئية، لحركة "أمهات ميدان مايو" أمهات المفقودين خلال الانقلاب الأرجنتيني عام 1976، حيث حرصن على استرداد أبنائهن، من خلال تنظيم وقفات تطالب الحكومة بذلك، وقدمن أنفسهن فيما بعد، كمنظمة سياسية، هؤلاء الأمهات آمنَّ بأن أبنائهن ثوار، لذلك حراكهن لا يقتصر على المطالبة باسترداد أبنائهن فحسب، بل يُردن إكمال طريق أبنائهن بالمطالبة بالعدالة والحرية. فهن عرّفن أنفسهن كمناضلات، لا مفجوعات بأبنائهن ويردن التعاطف، بل يردن الانحياز لقضايا العدالة والحرية، والعمل لأجلها. وهذا الوعي تأتي من خوضهن لتجربة فقدان لأبنائهن، وتجربة مشاعر فقدان وما يخلفه من ألم، واستطعن توظيف هذه المشاعر لحثهن على النضال المستمر وإكمال ما بدأ به أبنائهن. هؤلاء الأمهات يشبهن إلى حدٍ كبير، زوجات الشهداء الأمهات، اللواتي أفنين حياتهن لأجل أبنائهن، وتنازلن عن احتياجاتهن المتمثلة بالسكينة والراحة، والزوج، لتربية أبنائهن، والصبر على تحديات وصعوبات التربية، والأدوار المزدوجة المطالبة بالقيام بها. حيث تطلبت الأمومة منهن إظهار القوة دائمًا، والتعامل بحذر مع مشاعر الحزن والأسى أمام أبنائهن، لنجد العديد منهن يعانين بصمت، وأحيانًا يتوجهن ليلاً للمقبرة، لتفريغ كل المشاعر المكبوتة هناك. لذلك صرحن بأن أبنائهن يشكلون مصدرًا للقوة والضعف، قوةً من حيث استمداد معنى لوجودهن، بعد فقدانهن لشريك الحياة، فوجود الأبناء شكل لديهن إيمانًا بضرورة المسير مجددًا، والسعي الحثيث لإكمال مسير هذه الأسرة، متسلحةً بإرث زوجها الشهيد، في الحياة الاجتماعية والتربوية. وضعف من حيث عدم قدرتها على البوح بمشاعرها كما أشرت سابقًا، فهم مصدر ضغط في بعض الأحيان، وكانهم لا شعوريًا لا يشرعون لها الحزن وإظهاره. وجود الأبناء وما يحمل وجودهم من عبء ومسؤولية، دفع ببعضهن للزواج، للتخفيف من هذه المسؤولية، في بعض الحالات يكون الزواج كخيار، وأحيانًا كإجبار، عليها الموافقة عليه دون تردد، فهو بمثابة الحل للمعيقات والمضايقات التي تواجهها، اجتماعيًا واقتصاديًا وقانونيًا. وعدم اتخاذها لهذا الخيار يُجبرها على النضال لوحدها، وتحمل تبعات فقدانها لزوجها، من عبء التربية، وإعالة الأسرة، ومواجهة مضايقات وتدخلات الآخرين في حياتها وحياة أبنائها، والتصدي لكل أشكال الاستغلال التي قد تتعرض له من

قبل أهل زوجها إن وجد، كمحاولة حرمانها وأبنائها من الميراث، أو محاولة الاستيلاء على مستحقات الشهيد المالية. الأمومة أجبرت بعضهن على رفض ما يأتيها من عروض للعمل، لعدم مناسبة طبيعة العمل بأوقات وساعات وأيام دوامه، معها كأم ومعيلة وحيدة لأبنائها، خوفاً منها من تركهم لوحدهم لفترة زمنية طويلة، لذا أثرت البقاء معهم، والاعتماد على راتب زوجها الشهيد، وما يأتيها من تبرعات، برغم احتياجها الشديد للمال. لنجد تقاطع هوية المرأة كامرأة فلسطينية، تعيش في سياق مجتمعي ذكوري قمعي، مع هويتها كأم فلسطينية أيضاً، تعيش في نفس ذات السياق، الذي تتفاوت فيه نظرتة للمرأة بحسب المكانة التي تتخذها، لتتراوح ما بين التبعية والمرجعية الطفلية كما يقول حجازي (2005) فهي تابع لا حرية له ولا إرادة، وهي مرجعية يقف منها الزوج، والأبناء موقفاً طفلياً اتكالياً. ويتحول التبخيس والخط من شأنها الذي يمارسه المجتمع عليها، إلى مثانة مفرطة، لنجد إعلاءً لشأن الأمومة، وإغداق الصفات الإيجابية عليها. وبالتالي نميل لوضع الأمومة في السياق الاجتماعي الذي يأسطرها، ويسمو بها إلى مرتبة القداسة، ما يجعل كل تصرف أو سلوك، يخرج عن سلم معايير "الأمومة النمطية" سلوكاً مردولاً وبهيمياً، حتى لو كان السلوك لا يخرج في المبدأ، عن سلم المعايير هذا، بل لأنه يحقق أحياناً المراتب الأعلى فيه (صيداوي، 2020).

تجمعات زوجات الشهداء، وعمل لقاءات شبه أسبوعية، شكّل هوية مشتركة لهن، هوية "الأمهات والزوجات المناضلات"، نتج عن هذه التجمعات ايمائاً أقوى بضرورة نضالهن، وايمائاً أقوى بأنفسهن وقدرتهن على المواجهة، وايمائاً ببعضهن وضرورة وجودهن كداعمات أساسياتٍ لمن تتعرض لمثل ظروفهن، سواءً كانت زوجة، أم، أو أخت لـ "شهيد". هذه التجمعات خففت من حدة ووطأة ما تعرضن ويتعرضن له من صعوبات، ومن اضطهاد ممارس عليهن. ومكنهن من تشكيل آليات للتوافق والتكيف والاستمرارية، وهذا من شهادة وسردية المشاركات. شكلت هذه التجمعات حس جمعي عند المشاركات، مكنهن من المبادرة الفاعلة في تقديم الدعم لكل امرأة تتعرض لنفس ظروفهن، وتفقد زوجها أو أحد أقاربها بفعل الشهادة. وهذا هو تجسيد حقيقي لمفهوم الحس النفسي بالمجتمع الذي أشار إليه الباحثان (McMillan & Chavis, 1986) باعتباره ذلك الشعور لدى أعضاء الجماعة بالانتماء، والشعور بأن الأعضاء مهمون لبعضهم البعض وللجموعة، والإيمان

المشترك بأن احتياجات الأعضاء ستُلبى من خلال بقائهم موحدين. فقد لمسنا من خلال أحاديث هؤلاء النساء بأن السياق المشترك شكّل لديهنّ هويةً اجتماعيةً مشتركة ومركبةً، عززت تشكيل الحس النفسي بالمجتمع، لما وفرته هذه الهوية الاجتماعية المشتركة من اتصالٍ عاطفي، وأمانٍ عاطفي تمثل في توفير مساحة آمنة للحوار ومشاركة تفاصيل المشاعر والأحاسيس المتناقضة التي لا يُظهرنها في محيطهنّ العام. بالإضافة لخلق قوة نضالية كبيرة عند المشاركات للمطالبة بحقوق أبنائهن، وأبناء غيرهنّ من النساء، ممن يتعرضون للاستغلال وهضمٍ لحقوقهم، فيما لو لم يجدون من يطالب بها. وهنا تحدثن المشاركات عن بعض المراكز التي تُعنى بفئة "الأيتام" والتي تحاول حرمان أبناء الشهداء من حقهم لمجرد أنهم أبناء شهداء ويصلهم راتب شهري، فهنّ أردن إيقاف هذه المهزلة والتفكير بحلولٍ جذريةٍ يحفظنّ من خلالها حقوق أبناء الشهداء جميعاً ودون استثناء، وهذا لا يأتي إلا من خلال هذه التجمعات ووقوفهن سوياً. وبذلك نرى بأن هذه التجمعات عملت كآليات دفاعية فعالة ضد ما يواجهن من صعوبات، وهذا ما تحدثت عنه حجازي (2005) بقوله إن الفرد المقهور يستعيض عن عجزه الفردي بالاحتماء بالجماعة، فبقدر تقاوم الخطر الخارجي، بقدر تعاظم الاحساس بالتهديد للذات والمصير، فيميل بذلك الانسان إلى الذوبان في الجماعة. وتشكل هذه التجمعات محطاتٍ إرشادية، تفرغية عند النساء، حيث تساعدن هذه التجمعات على مشاركة مشاعرهن المكبوتة، تلك المشاعر التي لا يستطعن كشفها أمام أبنائهن، ويتعاملن معها بحذر شديد أمامهم. لذلك فقد ساعدتهن هذه التجمعات على إخراج هذه المشاعر، والتعامل معها، ومشاركتها، ومكاشفة مشاعر الخوف، وقلة الحيلة، والاستفادة من خبرات باقي النساء، ممن عشنّ مثل هذه الظروف، وتمكّن منها، وتجاوزنها.

ثالثاً: السياق الفلسطيني، والترابط المجتمعي

هنا سوف أتطرق لثلاثة محاورٍ رئيسة، تم الاستدلال عليها من سردية المشاركات، تتعلق بالسياق الفلسطيني، والثقافة المجتمعية السائدة، والدور الذي لعبته في تشكيلات الذات لديهنّ. وهذه المحاور هي:

- الشهادة بأبعادها الثلاث (الدينية والسياسية والاجتماعية):

" عزأؤنا الوحيد إنه ما مات موة طبيعية، ومات شهيد، عزائي إنه استشهد، وهاشم طول عمره انسان مناضل، بتذكر وليد صاحبه لما عملوا معه مقابلة قال هاشم لازم من زمان استشهد"

هكذا عبرت سميرة زوجة الشهيد هاشم عن معنى الشهادة بالنسبة لها ولعائلتها. فهو العزاء الوحيد لهم، وهو الحتمية الطبيعية للحالة النضالية الثورية التي التزم بها هاشم طوال حياته. حدث الشهادة وما يحمل من معانٍ من البطولة والتضحية، هو بلسم يتداوى به أهل الشهيد، يُخفف عنهم ثقل الغياب، وثقل الفراق. ويساعدهم على المُضي فُدمًا لحمل الرسالة التي أراد إيصالها الشهيد. فالشهيد في سياقنا الفلسطيني والديني يُشَيِّع بالزغاريد، لِمَا يحمل هذا السلوك من رمزية دينية ووطنية في آن. فكما يقول نصر الله (2013) الذي يجبرنا على أن نزرع في جنازات شهدائنا، هو ذلك الذي قتلهم، نزرع حتى لا نجعله يُحسّن أنه هزمنّا، نحن لسنا أبطالاً، وكلنا مضطرين أن نكون كذلك. حيث تبقى المقاومة والشهادة والموت، والاعتقال آلياتٍ منتجةٍ للمعاني السياسية عند الفلسطينيين، بهدف إعادة تشكيل الجماعة الفلسطينية الفاعلة بوعيٍ سليمٍ قائمٍ على الإيمان بحتمية التحرر. يتم ذلك برغم عمليات التفكير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الساعية إلى صهر الوعي ومحوه وتجريده من صبغته التحررية (الطرماني، 2020). تحمل الشهادة في مجتمعنا وسياقنا الاستعماري، أبعاداً وطنية سياسية واجتماعية ودينية. حيث تقف تاريخياً أمام نمط من الشهداء قدموا أرواحهم إما لأفكارهم وعقائدهم أو لقضية الوطن كقضية سياسية مهمة، ليصبح الوطن مقدساً، والدفاع عنه من الأعداء شهادةً سامية، فقد كرسّت الدول مع تطورها أوسمة وتقاليد إنسانية من النصب التذكارية والجندي المجهول. ليمتزج دمهم بدم قضية تحرر الوطن، هؤلاء كنموذج للشهادة عنوان موتى وشهداء وأبطال القضية الوطنية (صحيفة الإتحاد، 2015).

فالشهيد في اللغة هو الحاضر، وهكذا هم شهداؤنا، حاضرون بتضحيتهم، وحاضرون بما قدموا للقضية، فالشهيد هو من بذل حياته تلبيةً لقضيةٍ معينة. لذلك تحمل الشهادة معها معانٍ من العزة والشجاعة والفخر، ولا أبلغ من فعل الشهيد في سياقنا الفلسطيني الاستعماري. فالشهيد هو من تقلد أعلى المراتب، دينياً ووطنياً. فكلُّ من وهب روحه للقضية، عاش ومات لأجلها، استحق التكريم، من شعبه ووطنه وأمته. ويُنظر له وأفعله، نظرات ملؤها

الفخر والاعتزاز، وهذا من شأنه التخفيف على عائلة الشهداء في مصابهم، فأهل الشهيد، وتحديدًا من قام بعمل نضالي، يُعززون أنفسهم بفعله وبما ناله، وهذا ما أكدت عليه تغريد بقولها:

"استشهد وهو يدافع عن عرضه وبيته وداره، فهذا الحمد لله فخر لنا وإله، هذا كثير ساعدني إنه توفى الله يرحمه بس أنا مش طالع بايدي اشي إلا أدعيه، والله يعطيني الصبر، وهذا خلص شهيد، بكفي إنه شفيع إلي ليوم القيامة، وإنه بشفع لسبعين من أهله، يعني هاي الأشياء، وشو أهمية الشهادة عند ربنا، فخلاني أتقبل أكثر من إنه لو مات عادي حادث أو أي مرض، فالشهادة بتلعب دور كبير إنه أتقبل الفكرة (فقدانه)"

وهذا ما أوضحتها شريفة أيضًا، بقولها:

"فعل الشهادة فخر بالنسبة إلي الحمد لله، فعلاً هاي بتصبر النبي آدم إنه شهيد، زوجي شهيد أنا بفتخر، وهاي كرامة من عند ربنا"

لنرى عند غالبية المشاركات، ارتباط مفهوم الشهادة لديهنّ بالبعد الديني، وبحجم المواصلة التي يتلقينها من هذا الارتباط، فدينياً الشهيد بأعلى المراتب مع الأنبياء والصديقين، لذلك، من ينال الشهادة تكون بمثابة "هبة" و"كرامة" إلهية "أو هكذا يراها معظم الناس. وهذا من شأنه أن يخفف عنهم مشاعر فقدان والفرق، والتعامل مع الحدث بروحانية أكبر. فالشهادة اختيار يتخطى بمعانيه الوجود الحسي، ليسمو في أعلى درجات النبيل والإيثار، أصحابه أناس فضلوا الشهادة على العيش في ذل وخنوع، واختاروا التضحية سبيلاً لنحيا ونعيش في شرف وعز وكرامة، هم أناس آمنوا بقضيتهم فزادوا حباً للفداء بالنفس في سبيلها، لم تمنعهم صورة الموت عن النضال حتى الرمق الأخير، فجهادهم جزءٌ من ثقافة حياة أبدية (المناصرة، 2019). لذلك تعامل الناس يختلف مع أهل الشهيد، عما لو كان فقد موت طبيعي لا علاقة له بفعل الشهادة، فلخصوصية السياق الاستعماري الذي نعيشه، أعطى للشهيد مكانةً رفيعةً بين الناس، كما وضحنا سابقاً، تمثل بنظرات الاعتزاز والافتخار، بفعله المقاوم، لتمتد هذه النظرات، لعائلة الشهيد، فعائلة الشهيد مُكرمة بفعل ابنها، وأي مساس بهذه العائلة، هو مساس برمزية وقدسيتها فعل الشهادة، وهذا ما نلمسه في هتافات

الناس في الشارع الفلسطيني، فالكثير من هذه الهتافات تُظهر تلهف الناس لنيل هذه المكانة وهذه الشهادة، وتُظهر الإحساس العالي بعائلة الشهيد، وبمشاعر الفقد التي سَتسيطر عليهم حينها، لذلك تكثر الهتافات التي تُذَكِّر والدَةَ الشهيد بأن "كل الشباب" هم أولادها، لتخرج هذه الهتافات كمواساة لأهل الشهيد، لتقويتهم وتذكيرهم بأن من بذل حياته لأجل القضية، سيُخلد فينا للأبد، وسنتخذُه كنموذج، وبوصلة لا نحيد عنها، بقولهم:

" زغردي يا أم الشهيد وزغردي، كل الشباب ولادك"، و" يا أم الشهيد نيالك، يا ريت أُمي بدالك"، "لف الشهيد بدمه، ألف تحية لأمه"، " لف الشهيد بتخته، ألف تحية لأخته"، "دم الشهداء بنادي، حب الوطن عبادة"، "يا شهيد ما بننساك، انت القدوة للي وراك"، "دم الشهداء فينا صاح، بدنا نقاوم بدنا سلاح"، " يا شهدانا يا أسود، انتو الرمز للصمود"

وكما يقول الشهيد فتحي الشقاقي بأن الشهداء لا يموتون، بل يهبون لأمتهم مزيداً من الحياة والقوة، فهم يُعيدون تشكيل الحياة بزخم وإبداع أعظم، ويهبوننا حياة أكثر عنفواناً وتمرداً، فوحدهم الشهداء قادرون على وقف المهزلة، وإعادة النجوم إلى مداراتها وحركة التاريخ إلى اتجاهها الصحيح (أبو الغزلان، 2012). سناء تتحدث عن أثر الشهادة على حياتها بعد استشهاده، بفعل "صيته"، بقولها:

"أنا عشت على صيته، يعني أنا عشت معه أربع سنين بس بتحس إنه عشت معه العمر كله، وفش مجال أقارن حالي بحدا، يعني أنا الحمدالله كنت ماخذة واحد عايش معي بصيته، وين ما أروح، وهذا الشئ ساعدني، اسمه الله يرحمه، يعني لما كنت أروح على الداخلية أعمل حسن سلوك، فدخلت على الداخلية وفيه مجموعة موظفين، ولما الموظف سألني شو اسم حضرتك وعرف إنني زوجة الشهيد خالد النمروطي فكل الموظفين اللي يحكي لي كان معي بالسجن وأنا بعرفه، فأنا اللي داعمني اسمه، كثير دعمني معنوياً ونفسياً وحتى تسهيل أمور كثيرة بحياتي أنا والبنات"

الشهيد خالد النمروطي له باع في النضال والمقاومة والمطاردة، لذلك اسمه ما زال حاضرًا عند كل من عاشره، وشهد على فعله، وسلوكه. هذا التأثير الممتد للشهيد حتى بعد

استشهاده، كان له الأثر الواضح في حياة سناء وبناتها الثلاث، وكان له كبير الأثر في دعم سناء على كل الأصعدة. هذا الحديث يؤكد لنا عظيم الأثر الذي يحدثه الشهيد، وفعل الشهادة في نفوس الشارع الفلسطيني، وتحديدًا لمن ناضل على مر السنين، وختم نضاله بنيل الشهادة. فمشاعر الاعتزاز بترجمها الشارع لا بالهتافات فحسب، وذكر مآثر الشهيد، واتخاذة كنموذج، بل بتقديم كل الدعم والاحترام والتقدير لعائلته، وتكريمهم بأشرف ما يليق بهم وبفقيدهم.

• الترابط الاجتماعي، والدور المؤسستي:

أوضحت المشاركات من خلال حديثهن، الدور الذي لعبه الدعم الاجتماعي لهن في استعادة قدرتهن على الاستمرارية، والمواصلة رغم كل المشاعر والظروف القاسية التي مررن بها بعد فقدان شركائهن. ففي حين لا تتوافر حماية اجتماعية كافية بالتزامن مع الانعدام التاريخي لدور الدولة، وحالة عدم الاستقرار السياسي والصراع مع البنية الاستعمارية، فإن الشبكات العائلية، والقرايبية، هي مصادر الدعم الرئيسة للفلسطينيين (جونسون، 1997).

تقول تغريد:

"أهلي وصاحباتي كانوا حوالي ووجودهم قواني، وما بنسى هالشي لولا وقفتم ما قدرت أكمل، فالحمدالله كان الهم دور في أي اشي كنت أستشيرهم وساعدوني كثير، طبعًا كانت في مناورات بتصيير بيني وبين إمي ولليوم مشان الزواج، ومن أول سنة توفى زوجي فيها صارت تضغط علي بموضوع الزواج، إنه لازم تفكري بحالك، وقعدوا فترة يضغطوا بس خلص تسكر الموضوع، مع انه كنت مع إمي وأبوي لحالهم عايشن هسا بالدار، وزى كأنه البيت إلي، أنا إلي بجيب وبحط والكلمة كلمتي والحمدالله علاقتي معهم كويسة"

تغريد تكشف في حديثها عن طبيعة العلاقة مع الأهل، والتي يغلفها الكثير من الحب والحرص على مصلحة ابنتهم، فرغم الضغوطات الأولية من طرفهم المتمثلة في حثها على الارتباط، إلا أنها لم تفتقد محبتهم ودعمهم، المتمثل في تقويتها، وإعطاءها المساحة الكافية

لتفريغ كل ما تحمل من مشاعر حزن وخوف، والثناء على قوتها، وقدرتها على المضي، وإعطاءها الحق في تقرير مصيرها ومصير ابنتها، والسماح لها بممارسة الدور الرئيس والفاعل في أسرتها، كعميل أساسي لهذه الأسرة. سناء أيضًا تشير للدور المادي والمعنوي الذي قامت به عائلتها، بقولها:

"الحمد لله أبوي كان كثير حنون عليهم، حتى على ابن بنتي معطيه حنية السيد، وحتى وفا (ابنتها الصغيرة والتي وُلدت بعد استشهاد والداها بشهور) لقيت (وجدت) حنية الأب بأبوي، هو إلي أعطى الحنية لوفاء، وساعدوني بتشطيب الدار، وأعطاني مبلغ أبوي، يعني ما قصرُوا، كانوا داعمين ماديًا ومعنويًا، يعني أغلب المصاري مع بناتي، والدار كانوا من أهلي، ودار حماي في منهم ما كانوا يقصروا"

تشير سناء أيضًا إلى دور أصدقاء الشهيد، ممن كان لهم نفس الفعل النضالي، تقول:

"يوم ما نجحت شذا (ابنتها) بتفاجئ بأسير محكوم مؤبدات بحكي معنا، حسيت روح خالد بتحكي معي لأنه رفيق خالد، ولحد هسا لما بحكي معهم بتحس اشي من ريحة خالد بتحكي معهم، وهذا بتحسيه شاعر بالبنات، وحتى عرض عليهن بيته، وشوفي اللي هو الصديق عرض عليهن ماله"

صديق الشهيد لم يترك هذه العائلة برغم الأسر، حيث استمر في الاتصال والتواصل، وتقديم ما يستطيع تقديمه، فبالرغم من كم التضييق التي يُشرعها الاحتلال بوجهه كأسير، إلا أنه لم يتوانى للحظة عن تقديم الاهتمام، والشروع بالسؤال والاتصال، لمعرفته بمدى الفراغ الذي قد يُشكله غياب صديقه عن أهل بيته، ومدى افتقاد الفتيات لظل والدهم، فأراد بذلك إشعار الفتيات بأنهن لسنَّ لوحدهنَّ، وبأن هناك من يهتم لشأنهن. هذا الفعل يُبرز حجم التعاضد والتكاتف الشعبي الواضحة ملامحه بين أبناء القضية، وكأن هناك إدراك بجدوى وضرورة هذا الترابط، وهذا الحس الجمعي بضرورة دعم أهالي الشهداء عمومًا ماديًا ومعنويًا، فهذا إدراك بأهمية التكاتف في وجه المحتل، وكأن هذا التكاتف يشكل حالة نضالية أخرى. وهذا ما أشارت إليه سميرة أيضًا:

"في ناس كثير دعمونا، وهذا الدعم بخفف، دعم اللي حواليك، والأصدقاء
كان يخفف كثير، ما يتركونا لحالنا ووحيدين، ولحتى الآن"

وقد لعب المحيط الاجتماعي في دعم زوجات الشهداء على إكمال مسيرتهن المهنية، وعدم
الاستكانة والاستسلام لظروفهن، تقول حنين:

"اللي غير رأيي إنه أرجع على الشغل هي حماتي وزوج أختي، من باب
إنه حرام تروح دراستي على الفاضي، وضلوا يشجعوني إنه لازم أتوظف،
وضلوا مصممين لازم انت تشتغلي ولازم تتطلي"

كان هذا التشجيع لحنين لإيمانهم بالدور الذي تلعبه الوظيفة في نفسياتها، وفي تعزيز ثققتها
بنفسها، ومحاولةً لتجاوز مشاعر الفقد والحزن والاستسلام التي تملكها في البداية. فلولا
التشجيع الذي تلقته منهم، لما استطاعت الوقوف من جديد، والافتناع بجدوى العمل وما
يحدثه من تأثير في شخصيتها، وحياتها العملية والاجتماعية. تجلى الترابط الاجتماعي
أيضًا في إدراك زوجات الشهداء لضرورة وجود مساعد، ومعين لهن في تربية أبنائهن،
بحيث يشكل مرجعية لهن في كيفية التعامل مع أبنائهن، والقيام بعدة أدوار في آن واحد،
تقول فاطمة بهذا الصدد:

"أنا اللي أخت قريبة جدًا اللي، ولما أكون مش عارفة أتصرف فيلجأ لها،
لأنها أكبر مني، وأوعى مني، يعني لما يمر علي اشي وتشوفني معصبه،
لأنه مرات بمد ايدي عليهم (تضربهم) وبصير أعيط (أبكي)، إنه بكفيهم
اللي فيه إنه بكفي بدون أب، فبرجع لأختي وبتصير تقلي شو أعمل،
وكيف أتصرف معهم، وبصير أتعامل معهم زي ما بتقلي، لأنه كثير مرات
بضعف"

فاطمة توضح حساسية الدور الذي تقوم به، والظرف الذي وُضعت فيه، والذي يتطلب منها
استشارة من هم أكثر خبرة منها، لذلك اتخذت أختها المقربة كمرجعية لها في التربية، فهي
تخشى الإساءة لهم، حتى لا تعرضهم لظلم مضاعف، وحرمان أقسى، بحيث يُحرمون من
وجود الأب، ويُحرمون من حنان الأم وحسن التربية أيضًا. كفاح تشير أيضًا لدور شقيقتها

في تخفيف العبء عنها، والدور الكبير الذي قامت به قبل وبعد استشهاد زوجها، لتري بأنها لولا أهلها عمومًا، وشقيقتها خصوصًا لما استطاعت التحكم جيدًا بدفة حياتها:

"أهلي كثير كانوا سند اللي ولأولادي، أختي تركت بيتها واجت عندي لحد ما اجينا هون على بيرزيت، يعني لقيت الحاضنة اللي مش محملاني العبء، بالعكس هي الحاضنة المريحة، ما بدها توخذ اشى مقابل. اخوتي كانوا كثير بالنسبة اللي ولأودي مؤثر وداعم أساسي. رجعت لوظيفتي وأختي كانت تقوم بالحمل والعبء مع ولادي وهالشي خفف كثير"

في حين نجد تكاتف أعلى، خلال الاجتياحات والحصار، وتشديد الخناقات والمضايقات من قبل الاحتلال الإسرائيلي، ففي اجتياح مخيم جنين عام 2002، فقدت العديد من الأسر الفلسطينية فردًا أو أكثر بفعل الهمجية الصهيونية التي استهدفت كل فرد من أفراد المخيم، لذلك لجأ العديد منهم إلى مدارس وجمعيات للحماية من القصف المتواصل، والاستهداف العنيف. تتحدث مها، والتي فقدت زوجها خلال اجتياح المخيم، عن الدور الذي لعبه الترابط الاجتماعي في المخيم في استمراريتها وتقويتها، وتحديدًا بعد استشهاد زوجها بأربعين يوم، حيث لجأت وأبنائها إلى جمعية خيرية هربًا من القصف المستمر، لتذكر بأن هذه الأيام من أفضل الأيام، حيث شعرت بترابط الناس، واستطاعت من خلال الجمعية التعرف على عدد من النساء، ممن فقدن أحد أقربائهن بفعل الاجتياح، وعمل لقاءات فيما بينهن، تقول:

"الله حطني مع ناس إمام مسجد، وفي اثنين مكفوفين، وكنت بدى أضل معهم، بجودو بالقرآن، وكنت مرتاحة معهم، كان فش اشى متصعب علي، وتعرفت على عشرين وحدة (امرأة) بالجمعية، ونسيت فكرتي كموت، وصرنا نحكي مع بعض، ونكتب أرقامنا لبعض، وبعدها روحت على بيتي، وجيرانا قعدوا ينظفوا بالبيت، ورمموا الحيط، وأنا اللي خلاني أحكي هما لجنة من رام الله لأنه كانوا يخذونا أنا ونسوان الشهداء ويخلونا نجتمع مع بعض وهما علموني، ساعدوني كيف أتعامل مع ولادي، وقعدوا معي 8 شهور، هاي الاجتماعات كانت كثير منيحة لنا وأنا لومها (لولاها) بصرش (لا أصبح هكذا) هيك ولا عمري كنت رح أصير هيك إلا بفضلهم وساعدتني كثير كيف لما ابني يصحى بدو أبوه كيف أتصرف، فهان بنفرغ

وبنساعد بعض، وهما لحالهم كانوا يجوا ويساعدوني كنا حوالي أربعين وحدة (امرأة)، علموني كيف أمشي بالشارع وكيف أؤخذ مساعدة من الزكاة وهما ساعدوني وأهل الخير كانوا يفقدوني"

هنا، مها تشير للدور المؤسسي في حياتها، ومساعدتها من الناحية النفسية، لتستطيع التكيف مع فقدانها لزوجها، فقد أصيبت مها في لحظة استشهاد زوجها، ما استدعى دخولها إلى المستشفى، فلم تستطع توديعه ورؤية جثمانه، وقد شكل هذا الحدث صدمة كبيرة في حياتها، واحتاجت فيما بعد تدخلاً نفسياً لتستطيع الاستمرارية، عدا عن اعتمادها التام على زوجها قبل استشهادها، وامتلاكها لشخصية مهزوزة نتيجة هذا الاعتماد. مها احتاجت مساعدة لجمل وثقل المسؤولية الملقاة على عاتقها في إعالة أسرتها، وتربية أبنائها. وقد لعبت المؤسسات دوراً في ذلك، من خلال تمكينها ومساعدتها في إدارة حياتها، وإعطاء استشارات تربوية في التعامل مع أبنائها، وإعطاء مساحة كافية للتعامل مع مشاعر الحزن والضعف، وذلك من خلال تعريفها على مجموعة من زوجات الشهداء، ممن فقدن أزواجهن جراء هذا الاجتياح، وكان هذا بمثابة مشاركة للخبرات والتجارب الحياتية التي مررن بها بعد فقدانهن لشركائهن، وتشكيل هوية اجتماعية مشتركة، تعمل كمرجعية لها في التفكير بمجرى حياتها، والإحساس بالهم الجمعي، وبكونها تنتمي لجماعة، وليست الوحيدة الفاقدة لزوجها، والتي تعاني من جراء هذا فقدان. حيث تسعى هذه المجموعات لتشكيل هوية إيجابية قادرة على التصدي لكافة أشكال الاضطهاد الممارس عليها، من خلال تقوية شعور أفرادها بالانتماء والرضا عن عضويتهم لهذه الجماعة. لكن هذه المؤسسات لم تكن داعمة مادياً بذات القدر، حيث تمكنت مها بفعل هذه المؤسسات بافتتاح متجر ملابس، من خلال تمويل المؤسسة لهذا المشروع، وتأجيرها لمكان من عائلة في المخيم، وكل الأرباح لهذا المتجر تعود لها ولأبنائها، هذا العمل ساعدها مادياً ومعنوياً، بحد قولها. واستطاعت من خلال هذا المشروع تزويج ابنتها الأكبر. لنرى حجم الدور الذي يحدثه الترابط الاجتماعي، مع الدور المؤسسي. ولكن تبين لنا من سردية باقي المشاركات بأن هذا الدور المؤسسي لم يظهر عند الباقي كما ظهر عند مها، ومشاركة أخرى "فاطمة" من ذات المخيم. والذي قد برز أكثر وقت اجتياح المخيم، حيث كل الأنظار تلتفت له، ولمساعدته.

وكان هذا مؤشرًا لخصوصية المخيم في تشكيل مساحة اجتماعية ومجتمعية ومؤسسية داعمة ومساندة. تقول فاطمة:

"كنا نصرف على حالنا من المساعدات والزكاة ومعاش (راتب) زوجي (زوجها كان موظف في الأجهزة الأمنية). المؤسسات كانوا زمان يعطونا وفي راتب شهري للشهيد. البيئة والناس والجيران ما خلوني أحس باشي. كانوا أطباء بلا حدود وهاي المؤسسات يجيوا ويعطونا دعم وقوة ويوخذوا الأولاد. وفي ناس تخفف عنا الآلام وهيئ الواحد بريح النفسية"

فاطمة تؤكد على الدور الذي لعبه الترابط الاجتماعي بين أفراد المخيم في التخفيف عنها والسعي لتلبية احتياجاتهم، ما أشعرها بالاكتماء، وعدم احتياج أي شيء آخر. وتحدثت عن دور المؤسسات المتواضع، والذي لم يتعدى مساعدة أولية في التفرغ، والدعم. هذا الدور المتواضع للمؤسسات، شعرت به باقي المتشاركات، منهن من اعترضت على عدم تلبية هذه المؤسسات إلا الاحتياجات المادية، دون مراعاة لاحتياج الزوجة النفسي والمعنوي، وهناك من وضحت انعدام دور هذه المؤسسات في منطقتها، بالإضافة لسوء تعاملهم معها أثناء قدومهم لعرض هذه الخدمات، لأجد بأن أدوار المؤسسات تختلف من منطقة لأخرى. ففي قرية "بيت أمر" قضاء الخليل، بدا واضحًا حجم الغياب التام لهذه المؤسسات، حيث قمت بعمل أربع مقابلات، ولم تشكر مشاركة واحدة أو تُثنى على دور المؤسسات التي تُعنى بقضية أهالي الشهداء، تقول سماح:

"ولا باشي كانت داعمة، لا ماديًا ولا معنويًا ونفسيًا، يعني الراتب 2400 شيقل شو بدهنَّ يعملن لعيلة، يعني بالشتوية والصيف كسوتنا ب 2000، بالنسبة للمؤسسات طلعتنا عمرة، والمسؤول عن بلدنا حكى إنهم هنول مش بحاجة، واجت عنا مؤسسة وحكت انتِ محامية وبتشتغلي، مش بحاجة"

تقول سميرة:

"فش مؤسسات كان، بس اللي بنتعامل معها مؤسسة أسر الشهداء، بس فش مؤسسات ثانية، ما حدا اتصل ولا دعم، بس من ناحية نفسية مكنش فيه أي

دعم. واحنا الحمدالله أصدقاء هاشم وأهلي وأهله كانوا هما داعمينا، احنا أخذنا الدعم والقوة منهم، على طول 24 ساعة، من يوم ما استشهد هاشم للحظة هاي ما تركونا على طول في تواصل بينا وبينهم، وهالشي أغناني عن كل الدعم اللي ممكن أؤخذ من أي مؤسسة"

وفاطمة تقول:

"عنا مشكلة بخصوص الجمعيات زي الشؤون بحجة إنه في راتب الشهيد، وفي جمعيات رفضتنا لإنه شهيد اشي سياسي، بس ولاد الحلال بنسوش حدا، بس مشكلتنا الحين بالراتب. وجمعيات الأيتام كل ست شهر لنشوف اشي منهم"

تقول سماح:

"ما بتعطينا اشي، معتمدين على راتب الشهيد، كلهم معتمدين على هذا الراتب. اجت علي وحدة (موظفة في أحد المؤسسات) من بيت لحم وأول مرة قالت يلا كويسة الدار ولا الأجار. ولما عرفوا إني زوجة شهيد رفضوا يعطوا اشي مشان بنوخذ راتب"

لنرى بأن بعض المؤسسات لا تكتفي بالدور المتواضع والمخجل مع أسر الشهداء، بل تحاول إهانة هذه الأسر، وتكلم الأفواه للمطالبة بحقوقهم، بحجة أنهم يمتلكون منزل، ولديهم راتب شهري، ولا يفتقرون لأساسيات الحياة، ولا يحتاجون لأي مساعدة، سواء كانت نفسية أو مادية. بحيث لم أجد من حديث غالبية المشاركات مؤسسة واحدة تواصلت معهن وحاولت التساؤل حول المساعدة التي يحتاجونها، أو يُظهرون بعضًا من الاحترام والتقدير، دون توجيه الإهانات، والتعامل باستعلاء.

أما عن تقديم الدعم النفسي والمعنوي الذي تقدمه هذه المؤسسات فتقول تغريد:

"الناحية المعنوية ما بتيجي من المؤسسات، المؤسسات بتعطيك من ناحية مادية وممكن الأثر الرجعي اللي بتعطيك اياه الناحية المادية هي بتكون

معنوية، فهما يعطونا هالجانب المعنوي بطريقة غير مباشرة، كيف مثلاً قبل أربع سنين طلعنا منح عمرة وحج وهذا الشي كثير ببسطني للأمانة"

كفاح أرادت توضيح نقطة في غاية الأهمية، تتمثل في الكيفية التي نتعامل بها مع أهالي الشهداء، سواءً نحن كأفراد، أو كمؤسسات، بقولها:

"طبعاً كلنا بنكرم الشهيد، بنكرمه بالأغنية، بكثير من القضايا، ولكن تفاصيل الحياة ما في تكريم، بسحبوا كل شي يكون أساساً موجود عند هاي الأسرة من زوجها. طبعاً أنا حاولوا وما قدروا لأنه في شخصية مستقلة أساساً. فهياي يمكن أز عجم كثير للناس اللي حاولت تسيطر. حتى في بيت الأجر في كثير ناس بتيجي متعاطفة بالعطف مش بالكبرياء والعزة، هذا اشي مزعج جداً، أهل الفقيد ما بدهم حدا يحن عليهم، ممكن هما بوخذوا الحنية من بعض، بدهم يشعروا بمكانتهم وقدرهم بين الناس. هذا بفتقدوه أهالي الشهداء، التكريم اللي بنعمله احتفالي وشكلي مش حقيقي، يعني لما بنقدم درع أنا بشمئز من هاي الشغلة مع إنه أنا قيادة (عضو في تنظيم فتح)، وبروح عند أهالي الشهداء، وبشعر إنهم بنبسطوا، ولكن أنا بشعر إنه مش هذ اللي بدهم إياه، يعني هالاحتفال شكلي وكأنه واجب وبدنا نأديه، بعد تسكير بيت الأجر هو المواساة الحقيقية مش بيت الأجر، بيت الأجر بخفف من الصدمة والفقدان، أما الناس المقربين وبتشعري بمشاعرهم أكثر هما الناس اللي بضلوا على طول، هاي الثقافة اللي إحنا بحاجة إليها في مجتمعنا، أنا بدرك إنه الفقدان الكثير بسبب مشكلة، بسبب اعتياد، وببطل عناردات فعل للأسر والشهادة، لأنه هذا الشي دوم مش يوم، مش اشي مستهجن بالعكس هذا شيء بتكرر وكثير بتكرر"

كفاح تحاول إيصال فكرة طبيعة ونوعية التعامل الذي يحتاجه أهالي الشهداء منّا كأفراد ومؤسسات، فأهالي الشهداء لا ينتظرون منّا تعاطف مبالغ بدافع الحزن و"الشفقة" لافتقادهم قريب لهم، أهالي الشهداء يريدون تكاتف مليء بالاعتزاز والتقدير لفعل الشهيد، وتقدير لعائلة الشهيد، التي أنجبت وربت وصبرت، وعدم انتزاع حق الأهالي بالعيش المكرم، أو سحب الامتيازات التي كانت بيد الشهيد أثناء حياته، أو حتى محاولة استغلال لهذه العائلة.

كفاح وبرغم دورها القيادي في "فتح" إلا أنها لا تُنكر بأن كل الاحتفالات التي تقوم بها المؤسسات سواءً كانت حكومية أو خاصة، هي احتفالات شكلية، غير حقيقية، وعائلة الشهيد لا تنتظر من الحكومة أو حتى الشعب "دروع" لكي تعرف قدر شهيدهم وقدر فعله، بل يسعون لصورة أكثر وضوحًا في التكاتف والدعم، يحتاجون دعم وتقدير متواصل، وعلى كل الأصعدة، فهم لا ينتظرون درع باسم شهيدهم، في الوقت الذي يتم فيه انتزاع حقهم في مستحقات الشهيد المفروض على الحكومة، على سبيل المثال.

• الدين والإيمان بالقدر:

أعَبَ الإيمان بالقضاء والقدر دورًا مهمًا في مساعدة زوجات الشهداء على التعامل مع مشاعر الفقد وتقبلها، والرضا بما كان، تقول تغريد:

"الإيمان بقدر الله قواني، إنه الله هيك كاتب، هو كان الله يرحمه حاب الشهادة، وأنا الحمد لله كنت راضية، وكم ان قوة الشخصية بتلعب دور، وايماني باللي صار حوالي، يعني لو بدى أعيط ولو بدى أنهار لو بدى أنعزل عن العالم هذا بالنهاية شو رح يعملني، هذا مش رح يرجعه، واستسلمت، لأنه بالنهاية الاستسلام لربنا أفضل من إني أقعد أقله ليش هيك، وبدى أروح عالاجاه السلبي رح يفوتني بدوامة ومرض نفسي أنا قادرة إني أتخطاه في البداية، فلا، إنه صلاتي صيامي، وقوة إيماني بالله، وإنه الشئ مقدر ومكتوب كثير ساعدني"

شكّل الإيمان بالله لدى تغريد قوة مساعدة مكنتها من الاستمرارية، والمواصلة بروح ملؤها الرضا، والتقبل. هذا الوعي والفهم لطبيعة الحياة الحاضرة في حديث تغريد يُشكل عاملاً مهمًا في تشكيل السلام الداخلي لديها، والمتمثل بالإيمان بقوةٍ خارجةٍ عن إرادتنا كأفراد. والتسليم لهذه القوة هو بمثابة إقرار بمحدودية الإنسان، وفهم هذه النقطة تحديدًا توصلنا لطريقٍ ذو ملامح واضحة، طريق يمكننا من المواصلة برضا وتسليم بأن هذه الحياة بكل ما فيها من تحولاتٍ وتغييرات؛ لتُخبرنا بحقيقتها المتغيرة وبعدم ثباتها، وبالتالي فكل ضائقة سيأتي يوم وتنتهي، وكل مصيبة سيأتي يوم وتُحل، وكل حزن سيبتدل. وهكذا تتشكل الراحة الوجودية عند تغريد ومن يؤمنون بمعتقداتها.

وهذا ما وجدته عند باقي المشاركات، تقول ختام:

"الإيمان بالله هو الداعم الأساسي إلي. كان عندي ولد كفيف وهالولد سبيلي ضغط ومسؤولية أكبر، كنت بخفف على حالي بقرأ قرآن، وبصلي، لأنه لما تكون الثقة بالله كل شيء بهون، وأي حدا يكون وضعه صعب بحكيه عليك بالقرآن والصلاة. والحمد لله اللي أعاني ولولا توفيق الله ما كنت قطعت وتجاوزت شهادة زوجي"

عدا عن تكرار المشاركات لجمل دينية خلال أحاديثهن، مثل:

"الله ساعدني"، "الله قواني"، "بفضل الله"، "لولا ايماني"، "الحمد لله دايمًا"

هذه الجمل تشير لامتلاك المشاركات لمعانٍ دينيةٍ وروحانيةٍ، تمكنهن من المواصلة، وتُثمي لديهن إحساس إيجابي يساعدهن في المحافظة على حياتهن وصحتهن وتطورهن النفسي والاجتماعي. وهذا ما جاءت به بعض الدراسات، مثل دراسة كاردينر (Kardiner, 1939) ودراسة خميس (Khamis, 2008)، حيث وضحت هذه الدراسات بأن قوة القدر يمكن تفسيرها بإزاحة لشخصية الشخص لآخرين، أو عوامل خارقة بحيث تكون بمثابة القبول بدور الحياة. وهذا ما بدا واضحًا في حديث كفاح، حينما قالت:

"عبد الله تعرض لأربع محاولات اغتيال وكل يوم كان الاحتلال بدو يغتاله، لأنه هو كان قائد الحصار، ولكن ربنا كان كاتبه العمر، فأنا حكيت لولادي لأخفف من وجعهم وألمهم، الله أعطاه 8 سنوات، كان عبد الله في أي لحظة ممكن يستشهد، ولكن الله اعطاكم فسحة تتعرفوا عليه أكثر، وتشوفوه أكثر، وتتعلموا منه أكثر، يمكن كلماتي هذه كانت تأثر كثير في ولادي، تحديدا الولد، يوسف"

نلمس من حديث كفاح مدى إيمانها بالقضاء والقدر، وحجم التأثير الذي يحدثه هذا الإيمان في تعاملها مع الحياة، وقدرتها على التكيف وتقبل الأحداث التي تمر بها، ونقل هذا الإيمان لأبنائها، لإيمانها بأن هذا الإيمان يساعد الانسان في التخفيف من وطأة هذه الأحداث، وتقليل تأثيرها الدائم على النفسية، حيث بدا واضحًا من سردية المشاركات بأن الإيمان بالقضاء والقدر، لعب دورًا في تشكيل التوافق والتكيف لديهن، تمثل بالرضا والقبول لحدث

الفقدان، على الرغم من حجم العيب الذي شكَّله هذا الغياب، إلا أنهم تسلحوا بهذا الإيمان، واستطعن نقل هذه المعاني لأبنائهم، لِيَسْهُلَ عليهم تجاوز وتقبل هذا الحدث بأقل الأضرار النفسية والجسدية. عدا عن الارتباط الديني مع فعل الشهادة، فقد أبدت كل المشاركات اعترازهن وافتخارهن بكون أزواجهن قد فُقدوا بفعل الشهادة، وهذا الفعل له ارتباط ديني وسياسي، وكل ارتباط يحمل معه مشاعر من الاعتزاز والافتخار، والتقدير لما قام به، ولا تملكه مكانة رفيعة دينياً واجتماعياً لنيله لهذه الشهادة.

افترضت دراسة روتر (Rotter, 1966) بأن هناك مركزين للتحكم والسيطرة في مجريات الأحداث، الأول داخلي ويتعلق بصفات الشخص التي يمتلكها، والتي تؤهله في الماضي والاستمرارية والتغيير المستمر للأفضل، والثاني خارجي ويتعلق بعزو الأشخاص للأحداث لقوة خارجية وخارقة، أو لقوة القدر، ويرى بأن الأشخاص الذين يعززون مركز التحكم لديهم لقوة القدر، يمتلكهم حالة من السلبية والامتناع عن التغيير، لأن زمام الأمور بيد قوة خارجية، ولا يتحكمون بها. وهذا ما انتقدته ليفنسون (Levenson, 1976) حيث وضحت بأن المركز الخارجي الذي يتعلق بالقوة الخارجية أو القدر، يحفز الأشخاص للتغيير وتعديل الأوضاع، لإدراكهم بأن هناك قوة تتحكم بمجرى الأمور، وبالتالي هناك إمكانية للتغيير. أما حجازي (1998) فيرى بأن القدرية، تُحتم على المرء تجنب الصراع العنيف الذي يمكن أن يعصف بذاته، دون أن يتمكن من السيطرة عليه، وهذا يدفع بالإنسان للاستكانة والاستسلام للأمر الواقع، والقبول به. بناءً على سردية المشاركات نرى بأن إيمانهم، واستسلامهم أو برواية أخرى قبولهم للقدر، لم يدفعهم للاستكانة، والرضوخ للأمر الواقع دون السعي للتغيير. بل سعت المشاركات لتغيير الواقع، والتعامل مع الضغوطات والمضايقات التي تواجههن بقوة ومواجهة، لا ضعف وانسحاب، وبالتالي نرى بأنهن دحضن فرضية روتر وحجازي، وتمكنن من الجمع ما بين الإيمان بالقدر، والسعي للتغيير، وبأنه لا تعارض، بل شكَّل هذا الإيمان لديهنَّ عاملاً في التخفيف من الأثر النفسي للفقدان، ودعم معنوي لهن، فهذا الإيمان من شأنه تحقيق الشعور بالراحة النفسية لديهن. وهذا ما نلمسه بالعموم عند الشعب الفلسطيني، الذي يؤمن بالقضاء والقدر، وبأن واقعهم السياسي ما هو إلا واقع حتمي لقضية عادلة، وبأن إيمانهم بمصيرهم، لم يُثنيهم عن السعي والمقاومة المستمرة للتخلص من هذا الاستعمار الإسرائيلي.

الفصل الخامس:

الإنهاء

- الاستنتاجات
- المصادر

الاستنتاجات

بعد عرض النتائج ومناقشتها واستعراض المحاور الرئيسية التي انبثقت من تحليل المقابلات، وعرض السرديات التي ساهمت في بناء هذه المعرفة. مع القليل من الإضافات والتوضيحات حول هذه السرديات، والعروج على بعض النظريات والدراسات التي ساهمت في تحليلها. نخرج بعدة استنتاجات:

أولاً: شكّل حدث فقدان فارقاً أساسياً في حياة زوجات الشهداء، وعاملاً مهماً في بلورة وتشكيل ذواتهن، ودورًا فعالاً في تشكيل مفهومن حول ذواتهن بصورتها الجديدة، بعد كم كبيرٍ من التحولات النفسية والاجتماعية التي خاضتها. حيث خلق هذا الحدث فرصًا وتجاربًا لهؤلاء النساء، تمثلت في تحولاتٍ في البنى الاجتماعية والاقتصادية من خلال خروجها من حيزها الخاص إلى الحيز العام المتمثل بالعمل، ما خلق لديها استقلاليةً ماديةً صحبها استقلاليةً ذاتيةً واجتماعيةً في تقرير مصيرها، وتحملها مسؤوليةً إعاله وتربية أبنائها، وثقةً في ذاتها، ما انعكس على رؤية المحيط لها، وتقديرها. ففقدان الزوج أتاح لها اختبار ذاتها وما تملك من إمكاناتٍ ذاتيةٍ مغمورة بفعل سياقٍ يُحتم عليها الظهور بصورةٍ نمطيةٍ تحمل معها مكانةً دونيةً. وهذه الفرصة وما تحمل معها من تحولاتٍ في البنى الاجتماعية والاجتماعية، أتاح لها خوض غمار المواجهة والتجربة؛ تلك التجربة التي كانت معدومة بفعل اعتمادها التام على زوجها، مما شكّل تحولاتٍ نفسيةً تمثلت في تشكيل مفهوم ذاتٍ مختلفٍ تمامًا عما كانت عليه سابقًا. وكأن هذا الحدث بكل ما يحمله من تحولات، خلق لديها إيمانًا أقوى بنفسها، وتصالحًا بكل ما تملك من تناقضات وتركيبات شخصية بفعل هذا السياق وما يخلق من مواقف اجتماعية. وبناءً على ذلك؛ نرى بأن هؤلاء النساء استطعن تحقيق جزء من "حسن الحال" على المستوى الشخصي المتمثل في قدرتهن على تقرير مصيرهنّ وامتلاكهنّ الحق في ذلك، وما يملكنّ من كفاءة ذاتيةٍ ظهرت في قدرتهنّ على تربية وإعاله أبنائهن، وتكوين رؤىٍ ومعانيٍ وجوديةٍ وروحانيةٍ نابعةٍ مما مررن به. وتحقيق جزء من "حسن الحال" على المستوى العلائقي وعلاقتهن الاجتماعية، تمثل في تشكيل هوية اجتماعية مشتركة، مكنتهنّ من الدعم والمشاركة وصنع القرار. ويحاولن جاهدات الآن تحقيق جزء من "حسن الحال" الجماعي المتمثل في تغيير جذري لحقوق أبنائهن، وإيصال أصواتهن وتجربتهن، وهذه الدراسة هي جزء من هذا السعي الجمعي. وبناء هذه

المعرفة التي خرجت من سردية المشاركات هي ما تم افتقاده في الدراسات السابقة التي تناولت فئة زوجات الشهداء والتي أشرت لها في فصل الإطار النظري، حيث اعتمدت هذه الدراسات على افتراض مسبق بأن هذا الحدث بمثابة حدثٍ نفسي ضاغطٍ دون الالتفات لسياقه الجماعي ولكونه قد يكون مشكلاً مهمًا في حياتهنَّ. وبذلك درسوا هذه الفئة على المستوى الفردي الضيق دون مراعاة لدور السياق في ذلك.

ثانيًا: هويتهم الاجتماعية المشتركة لعبت دورًا مهمًا وفعالاً في تشكيل حالةٍ من التوافق النفسي والمجمعي لديهن، واعتُبرت بمثابة تعريفٍ وجزءٍ جوهري لذواتهن. وعززت لديهنَّ الاحساس النفسي بالمجتمع. وهذه الهوية انبثقت من السياق الفلسطيني الاستعماري، الذي فرض عليهنَّ القيام بعدة أدوار لإكمال مسيرة العائلة بعد فقدان الزوج والأب، وحتم عليهن نمطًا مغايرًا في المعيشة بحكم ما يملك من ثقافةٍ ذكورية سائدة، تزدري المرأة وتضهداها. حيث استعصن عن عجزهن الفردي هذا بالاحتماء بالجماعة، جماعة شبيهة بهن، وتحمل نفس الهويات الاجتماعية والمركبة، تمثلت في هوية زوجات الشهداء الأمهات الفلسطينيات، مما خلق لديهن حالةً من النضال الجمعي، انبثق من احساسهن بالحرمان النسبي الجماعي، نتيجة مقارنة جماعتهم المحرومة بالجماعات الخارجية. وتمثلت شدة الحرمان النسبي لديهن بحدة السخط والغضب المنبثق منه (روبرت، 2004). تمامًا كما عبر فرييري (2003) عن يقظة الوعي الانتقادي التي تقود إلى التعبير عن مشاعر السخط الاجتماعي، والتي هي مكونات حقيقية لوضع قمعي وجائر. فتقاطع قضاياهن المجتمعية خلق ظلمًا مجتمعيًا مضاعفًا، تمثل بكونهن نساءً وأمهات وزوجات شهداء فلسطينيات، وكل صُنافة من هذه الصُنافات تحمل معها الكثير من الالتزامات والأعباء المجتمعية، والعديد من الحقوق المسلوبة أو محاولة سلب لهذه الحقوق، من منطلق التمييز الجندي والعنصري، ومن منطلق الأعباء والمسؤوليات التي يتقلها على كاهلها. وهذه الهوية الاجتماعية المشتركة والتجمعات التي قمنَّ بها، كانت بمثابة تجسيد حقيقي لما أشار إليه الباحثان ماكميلان وشافيز (Mcmillan & Chavis, 1986) بمفهوم الحس النفسي بالمجتمع، واعتباره ذلك الشعور لدى أعضاء الجماعة بالانتماء، والشعور بأن الأعضاء مهمون لبعضهم البعض وللمجموعة، والإيمان المشترك بأن احتياجات الأعضاء ستُلبي من خلال بقائهم موحدين. فقد لمسنا من خلال أحاديث هؤلاء النساء بأن السياق المشترك شكل لديهن هويةً اجتماعيةً مشتركة ومركبةً، عززت تشكيل الحس النفسي بالمجتمع، لما وفرته هذه الهوية الاجتماعية المشتركة من اتصالٍ عاطفي، وأمانٍ عاطفي تمثل في توفير مساحة

أمنة للحوار ومشاركة تفاصيل المشاعر والأحاسيس المتناقضة التي لا يُظهرنها في محيطهن العام. بالإضافة لخلق قوة نضالية كبيرة عند المشاركات للمطالبة بحقوق أبنائهن، وأبناء غيرهن من النساء، ممن يتعرضون للاستغلال وهضم حقوقهم، فيما لو لم يجدون من يطالب بها. وهنا تحدثن المشاركات عن بعض المراكز التي تُعنى بفئة "الأيتام" والتي تحاول حرمان أبناء الشهداء من حقهم بمجرد أنهم أبناء شهداء ويصلهم راتب شهري، فهنَّ أردن إيقاف هذه المهزلة والتفكير بحلول جذرية يحفظن من خلالها حقوق أبناء الشهداء جميعاً ودون استثناء، وهذا لا يأتي إلا من خلال هذه التجمعات ووقوفهن سوياً. وبذلك ندرك أهمية الدور الذي يلعبه الانتماء لهوية اجتماعية مشتركة على حياة هؤلاء النساء، وتخفيف حدة الآثار المترتبة على الاضطهاد الممارس عليهن من قبل الجماعات الأخرى. حيث تسعى هؤلاء النساء جاهداتٍ للنضال من أجل الحفاظ على هويتهم، وتشكيل هوية إيجابية قادرة على التصدي لكافة أشكال الاضطهاد الممارس بحقهن، مما يخلق حالة من الرضا والتكيف، وحالةً من التوافق النفسي المجتمعي الذي لا يكتفي بالتكيف مع السياق بقدر السعي الحثيث لمحاولة تغيير هذا السياق، وهذا ما لمسناه في حياة هؤلاء النساء، اللواتي لم يكتفين بوجود حالةٍ من التكيف، بل حرصن على تغيير واقعهن لضمان حقوق أبنائهن، وتنمية حسهن الجمعي ودعم ومساندة باقي النساء ممن يعايشن ظروفًا مشابهة. وهذا يشبه ما جاءت به دراسة مكاي (Makkawi, 2004) التي أشار فيها إلى أن انخراط الطلاب الفلسطينيين في النشاط الطلابي الفلسطيني للطلاب الملتحقين بالجامعات الإسرائيلية؛ يعزز من عملية تطوير الهوية الوطنية لدى النشطاء المعنيين، مما يعزز بدوره التكيف النفسي لديهم في بيئة سياسية معادية وتمييزية.

ثالثاً: شكلت الأمومة في حياة هؤلاء الأمهات أولويةً أولى تترجع على باقي أولويات حياتهن، حيث لعبت دوراً أساسياً في استمرارية هؤلاء النساء دون توقف وكلل. وخالقت لديهن حالة من النضال ألزمتهم بضرورة الفعل والحراك للحفاظ على حقوق أبنائهن واستردادها، وهذا ما ذكرنا بضرورة الحديث عن "أمهات ساحة مايو" ومفهوم الأمومة السياسية. فبنضالهن لتحصيل حقوق أبنائهن لم يُردن تعاطفاً بقدر مطالبتهن بالعدالة والإنصاف، وهذا ما لمسناه في الحديث عن مساعيهن بالتخطيط لحلول جذرية لمشكلة أبنائهن المتمثلة بالظلم والاستغلال المجتمعي والمؤسسي. وهذا ما لمسناه أيضاً بمواجهتهن لظلم أهل الزوج ومحاولة استغلال حقوق الأبناء وحرمانهم من حقهم في

الميراث. فالاستماع للطريقة التي كن يتحدثن بها هؤلاء النساء يؤكد على كون هذه المطالبات تحمل في ثناياها روح ثورية ونضالية ترفض الظلم بكافة أشكاله وأنواعه، وتؤكد على فظاظة ما مررن به من تقييدات خلقت بداخلهن حالة نضالية لا يمكن أن تليين إلا بتحقيق ما تبغي وما تريد. عند الحديث عن الأمومة نشير إلى حالة مركبة ومتناقضة، ففي الوقت الذي يشكل فيه الأبناء مصدرًا للقوة والنضال، إلا أنهم يشكلون بداخلها مصدرًا للضغط والعبء والمسؤولية المضاعفة؛ قوة تتمثل في استمدادها معنى لاستمرارية وجودها بعد فقدان شريكها، وضغطًا في تعاملها الحذر مع كل المشاعر والمواقف والقرارات التي قد تؤذي أبنائها. لنجد بأن كل الخيارات التي قد تقررها هذه المرأة في مجملها قرارات مصيرية؛ ستحمل معها تبعات ومسؤوليات لا تتعلق بحياتها فقط، بل وبمصير أبنائها وحياتهم. وبذلك يقع على عاتقها عبء القرار، وعبء تحمل مسؤولية هذا القرار. دراسة ديرية (2019) درست أساليب مواجهة الضغوط النفسية لدى زوجات الشهداء، وخلصت لكون "متغير" عدد الأبناء يؤثر على مواجهتها لهذه الضغوط. ولكن هذه الدراسة افتقرت لسماح ومعرفة الحالة المركبة والمتناقضة التي يخلقها وجود الأبناء في حياة زوجة الشهيد، فهم مصدر قوة بكل تأكيد، ولكنهم مصدر ضغط أيضًا، ضغط بحكم المسؤولية الكبيرة التي تقع عاتقها في حال آثرت الاستمرارية معهم أو حتى تركهم، ففي كلا الخيارات يواجهها ثقلًا في المسؤولية. فجميع المشاركات فضلن سعادة أبنائهن على سعادتهن التي قد تكون متمثلة في الزواج ثانية أو الذهاب للعمل أو الابتعاد عن مشاكل ومضايقات أهل الزوج. وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى عبء التربية التي يتحملن مسؤوليتها، حيث صرحن بأن هناك ثغرات إنسانية لا يستطعن سدها وأشباعها عند أبنائهن، كاحتياج الأبناء لوجود الأب في حياتهم، والمشاعر التي قد يستمدونها من وجوده معهم، والتأثير الذي يحدثه في تشكيل هويتهم. لذلك وجدنا الكثير منهن قد لجأن إلى من هم أكثر منهن خبرة في مجال التربية، وأحيانًا لمصادر الكترونية لسد ثغرة عدم الفهم في كيفية التعامل مع أبنائهن. وهذا يحيلنا لضرورة التدخلات المجتمعية المختصة من قبلنا كأخصائيين مجتمعيين، لما تُشكل هذه المواقف من احتياج ملموس من قبل هؤلاء النساء لسد الثغرات التربوية والنفسية التي قد تشكل عائقًا وضغطًا لها.

رابعاً: الشهادة بحد ذاتها وما تحمل من أبعادٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ ودينيةٍ شكّلت عاملاً مساعداً في تعاطي هؤلاء النساء مع حدث فقدان برضا وقبول. وساعد بعض النساء على اتخاذ الزوج الشهيد نموذجاً يحتذى به في التربية والحياة الاجتماعية، واعتماد ذلك على طبيعة علاقتهم الزوجية الجيدة قبل استشهاده. فالكثير من المشاركات أبدين تأثرهن وإعجابهن بشخص زوجهن الشهيد سواءً في أسلوب تربيته لأبنائه، أو بالمهارات الحياتية التي يمتلكها. وذلك نابع من طبيعة السياق الذي يُضفي معانٍ وقيمٍ ورمزيةً وطنيةً ودينيةً على فعل الشهادة. فالشهيد وطنياً ودينياً قد نال أعلى المراتب الدينية والاجتماعية، لذلك نجد العديد من الأفراد يتخذون بعضاً من الشهداء نموذجاً لهم في الحياة ككل. اتخاذ بعض النساء الزوج كنموذج قد ينبثق من امتلاكه للسلطة الذكورية في حياته، تلك السلطة التي شرعت وأتاحت له خوض غمار تجارب وتحديات لم يسمح لهؤلاء النساء بخوضها في حياته، كالتجراً على قول "لا" في وجه من يحاولون ممارسة الظلم، والقدرة على مواجهة التحديات والصعاب، تلك المواجهة التي كانت موكلةً لذكر العائلة دون أنثائها. من ضمن السرديات كشفت مشاركة عن النموذج الزواجي النضالي الذي كان يحيط بعائلتها، ومدى ضرورة وأهمية امتلاكنا لمثل هذا النموذج في سياقتنا الاستعماري. حيث تمثل في تهيئة أنفسهم لأيّ حدثٍ يستدعي غياب أحد الطرفين، بحكم طبيعة السياق الاستعماري المفروض، وبحكم ما يتبنون من مشروع نضال تحرري. فمن خلال هذا النموذج نلمس مدى الوعي الوطني والتحرري عند كلا الزوجين، الوعي بطبيعة السياق، والوعي والإيمان بكونهم جزءاً لا يتجزأ من هذا السياق المفروض، فما عليهم إلا "تكييف" حياتهم بما يخدم هذا السياق لا العكس.

خامساً: الدين والإيمان بالقضاء والقدر شكّل عاملاً مساعداً في تقبل النساء بحدث فقدان والرضاء به. حيث شكّل الإيمان بالله قوةً مساعدةً حثتهنّ على الاستمرارية، والمواصلة بروح ملؤها الرضا والتقبل. الوعي والفهم لطبيعة الحياة الحاضرة في حديث بعض المشاركات شكّل عاملاً مهماً في تشكيل السلام الداخلي لديهنّ، والمتمثل بالإيمان بقوةٍ خارجيةٍ عن إرادتنا كأفراد. والتسليم لهذه القوة هو بمثابة إقرار بمحدودية الإنسان، وفهم هذه النقطة تحديداً توصل لطريقٍ ذو ملامح واضحة، طريقٍ يمكن الأفراد المؤمنون من

المواصلة برضا وتسليم بأن هذه الحياة بكل ما فيها من تحولاتٍ وتغييراتٍ؛ تمتلك حقيقةً التغيير لا الثبات. وهكذا تتشكّل الراحة الوجودية عند من يؤمنون بهذا المعتقد.

وهذا ما جاءت به دراسة كاردينر (Kardiner, 1939) ودراسة خميس (Khamis, 2008)، حيث وضحت هذه الدراسات بأن قوة القدر يمكن تفسيرها بإزاحة الشخص لما يحدث في هذه الحياة لعوامل خارقة بحيث تكون بمثابة القبول بدور الحياة. وقد تعددت الدراسات والأدبيات التي تناولت الحديث عن الدور الذي يحدثه هذا الايمان في حياة الأفراد، ففي دراسة روتر (Rotter, 1966) قال فيها بأن الأشخاص الذين يعززون مركز التحكم لديهم لقوة القدر، يمتلكهم حالة من السلبية والامتناع عن التغيير، لأن زمام الأمور بيد قوة خارجية، ولا يتحكمون بها. وهذه وجهة النظر عند حجازي (1998) أيضاً، حيث يرى بأن القدرية تُحتم على المرء تجنب الصراع العنيف الذي يمكن أن يعصف بذاته، دون أن يتمكن من السيطرة عليه، وهذا يدفع بالإنسان للاستكانة والاستسلام للأمر الواقع، والقبول به. وهذا ما انتقدته ليفنسون (Levenson, 1976) حيث وضحت بأن المركز الخارجي الذي يتعلق بالقوة الخارجية أو القدر، يحفز الأشخاص للتغيير وتعديل الأوضاع، لإدراكهم بأن هناك قوة تتحكم بمجرى الأمور، وبالتالي هناك إمكانية للتغيير. وهذا ما لمسناه في هذه الدراسة بناءً على سرديات المشاركات، حيث لم يُشكل الايمان بالقدر عاملاً مثبتاً للاستكانة والرضوخ للواقع عند هؤلاء النساء، بل سعت المشاركات لتغيير الواقع، والتعامل مع الضغوطات والمضايقات التي تواجههن بقوةٍ ومواجهة، لا ضعف وانسحاب، وبالتالي نرى بأنهن دحضن فرضية روتر وحجازي، وتمكّن من الجمع ما بين الايمان بالقدر، والسعي للتغيير، وبأنه لا تعارض، بل شكّل هذا الايمان لديهنّ عاملاً في التخفيف من الأثر النفسي للفقْدان، ودعم معنوي لهن، فهذا الايمان من شأنه تحقيق الشعور بالراحة النفسية لديهن. وهذا ما نلمسه بالعموم عند الشعب الفلسطيني، الذي يؤمن بالقضاء والقدر، وبأن واقعهم السياسي ما هو إلا واقع حتمي لقضية عادلة، وبأن ايمانهم بمصيرهم، لم يُنتهيهم عن السعي والمقاومة المستمرة للتخلص من هذا الاستعمار الاسرائيلي.

سادساً: لعب الدعم والترابط الاجتماعي دوراً في تشكيل حالةٍ من التماسك والاستمرارية، ودوراً في تشكيلات الذات لدى هؤلاء النساء. حيث لمسنا الدور الذي لعبه الدعم الاجتماعي

التمثل بعوائلهن وأصدقائهن في توفير مساحةٍ للتعبير عن مشاعرهن، ودورًا في تعزيز بعضهن على العمل للخروج من حالة الحزن المسيطرة. بالإضافة للدعم المادي لهن. وسمعنا بعضًا من المشاركات ممن تلقين دعمًا من أصدقاء الشهيد الذكور ومدى انعكاس ذلك إيجابًا عليهن وعلى أبنائهن. وبالرجوع للسياق المجتمعي لهؤلاء النساء ومقارنته بحالة الدعم التي يتلقينها بعد فقدانهن لأزواجهن؛ نخرج بحالةٍ مركبة ومعقدة ومتناقضة ومتكاملة بنفس الوقت لهؤلاء النساء من قبل مجتمعهن، فمن جانبٍ يكون هو المضطهد والضاغظ والممارس لكل أشكال التمييز والتقييدات على حياة هؤلاء النساء، ومن جانبٍ آخر يكون الداعم والمساند لها. من جانبٍ يفرض عليهن التقييدات الاجتماعية والمجتمعية، ومن جانبٍ آخر يعزز من دور الداعمين لهن حتى لو كانوا من أصدقاء الزوج الذكور. لمسنا من سردية بعض المشاركات خصوصيةً المخيم، والحالة التي يظهرها من الدعم والمساندة، المساندة المجتمعية الواسعة من الجيران والأهل، والمساندة المؤسسية التي كانت حاضرة وبشدة وقت اجتياح مخيم جنين عام 2002، وتراجع الدور المؤسسي اليوم، ليصل إلى "الانعدام" كما هو في باقي المناطق. حيث تبين لنا من خلال حديث المشاركات الدور المتواضع وأحيانًا "المعدوم" لهذه المؤسسات.

وبناءً على هذه الاستنتاجات نخرج بخلاصة مفادها؛ أن التوافق النفسي المجتمعي لزوجات الشهداء يتمثل بقدرتهن على التماسك والاستمرارية والمواصلة والنضال الحثيث والمستمر لخلق حالة من حسن الحال الشخصي والعائلي والمجتمعي لهن ولأبنائهن ولزوجات الشهداء الأخريات، وبأن هذه الحالة من التوافق تنبثق من تشكلات الذات التي تشكلت بفعل السياق الفلسطيني الاستعماري وما يحمل من تحولاتٍ في البنى الاجتماعية والمجتمعية. ونستدل على هذا التوافق بفهم هويتهن الاجتماعية المركبة وما تخلقه من حسٍ نفسي بالمجتمع، يدفعهن للتغيير والتأثير. ومشاركتهن في هذه الدراسة ما هي إلا دليلٌ واضحٌ وعملي لهذا الحس النفسي الجمعي الذي يُحتم عليهن مشاركة تجربتهن الحياتية وإيصال أصواتهن لمن فقدن وسيفقدن أزواجهن بفعل الشهادة وما يترتب على هذا الفقدان من تجارب وتحديات مشابهة، ورسالة لئلا كباحثين ومختصين لضرورة بناء تدخلات مجتمعية بناءً على هذه المعرفة التي بُنيت بفعل سرديتهن، ورسالة لأفراد المجتمع بضرورة الوعي

النقدي لهذا السياق المجتمعي والعمل على التحرر من كل أشكال القمع التي تُفرض وتمارس بحق النساء.

قائمة المراجع العربية

أبو الغزلان، هيثم. (2012). الوحدة والشهادة في خطاب الشهيد فتحي الشقاقي. الوحدة الإسلامية، العدد 130. أخذ من الانترنت بتاريخ 18\5\2021 من

<https://www.wahdaislamyia.org/issues/130/habugazlan.htm>

أبو دقة، مريم. (2019). ورقة عمل حول دور المرأة الفلسطينية في النضال الوطني. بحث مقدم في مؤتمر: النساء في السياسة. اتحاد لجان المرأة الفلسطينية، غزة: فلسطين.

أبو صبح، أماني موسى. (2011). دور الهوية الجماعية الفلسطينية في تحقيق التوافق النفسي للأفراد عقب الصدمة الناجمة عن التعرض للعدوان العسكري. رسالة ماجستير. جامعة بيرزيت: بيرزيت، فلسطين.

أبو ليل، رغد. (2019). كي لا تتحوّل الوطنية حصناً لعنف الذكور.

أبو مدالله، سمير. (2018). تداعيات الوضع الاقتصادي الراهن على المرأة الفلسطينية. بحث مقدم في مؤتمر: تأثير الوضع الراهن على النساء في قطاع غزة واقع وحلول. اتحاد لجان المرأة الفلسطينية، جامعة الأزهر: غزة.

أسعد، سهير. (2019). نضالنا لاستعادة السياسة منهم.

الأعرج، باسل. (2018). وجدت أجويتي.

الجعبة، منال. أبو حية، أشرف. حميدات، هنادي. (2014). المرأة الفلسطينية والميراث. فلسطين: مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي.

جقمان، ريتا، صعب، هنا، غلهم، فيث، عبد الله، أنتينا، ناصر، غادة. (2004). تكيف الفتيات والفتيان الفلسطينيين مع الصدمة. بيرزيت، فلسطين: معهد الصحة العامة والمجتمعية.

جونسون، بني (1997). الدعم الاجتماعي: النوع الاجتماعي والسياسة الاجتماعية في فلسطين. في مؤلف بعنوان: المرأة الفلسطينية: الوضع الراهن. بيرزيت، فلسطين: برنامج دراسات المرأة.

حجازي، مصطفى. (2004). الصحة النفسية: منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة. بيروت: المركز الثقافي العربي.

حجازي، مصطفى. (2005). التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور. المغرب: المركز الثقافي العربي.

الحسن، إحسان محمد. (1992). التنشئة الاجتماعية والسلوك الإجرامي. بغداد، العراق: منشورات جامعة بغداد.

حسنين، سهيل. (2011). تجربة فقدان، الذاكرة المنسية وتغيير الطابو الاجتماعي: ما بين الحيز الخاص والحيز العام.

حمود، فريال. (2011). مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين. رسالة دكتوراة. كلية التربية، جامعة دمشق: الجمهورية العربية السورية.

الحوارني، عبد الله. (2002). الأسرة الفلسطينية بين الماضي والحاضر.

الخصري، باسل. (2018). الأعراض النفسية والتعامل مع الضغوط وعلاقتها بالصلاية النفسية لدى زوجات الشهداء في محافظة رفح. رسالة ماجستير. قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، الجامعة الإسلامية: غزة، فلسطين.

الدسوقي، كمال. (1974). علم النفس ودراسة التوافق. القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر.

ديريّة، وفاء. (2019). أساليب مواجهة الضغوط النفسية لدى زوجات الشهداء في محافظة الخليل. رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا، جامعة القدس: فلسطين.

رضوان، ج. (2006). الآثار النفسية للخبرات الصادمة. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 12، المجلد الثالث: 14-19.

الرفيدي، وسام. (1991). الهوية الوطنية الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو: إشكالية التفكير برسم النظام. بحث مقدم في مؤتمر مدريد.

زايد، أحمد. (2006). سيكولوجية العلاقات بين الجماعات. الكويت: شركة مطابع المجموعة الدولية.

زيد، دينا. (2007). مفهوم الذات وعلاقته بالتكيف الاجتماعي. رسالة ماجستير. كلية التربية، جامعة دمشق: الجمهورية العربية السورية.

السعداوي، نوال. (1971). المرأة والجنس.

سلامة، أحمد، عبد الغفار، عبد السلام. (1972). علم النفس الاجتماعي. القاهرة: دار النهضة العربية.

سلمان، يامن. (2017). أرامل فلسطينيات سجينات المجتمع.

السويحة، ياسمين. (2015، 7، 1). أمهات ساحة مايو. صحيفة الجمهورية.

الصيداوي، أحمد. (2001). البحث العلمي بنماذجه الأساسية: مقدمة المقدمات للبحوث التربوية والاجتماعية. بيروت، لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

طاليس، أرسطو. (1924). علم الأخلاق إلى نيقوماخوس (أحمد لطفي السيد مترجم). القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.

الطрман، سجي. (2020). الجسد وإعادة تشكيل الجماعة الفلسطينية الفاعلة.

عابد، وفاء. (2008). الوحدة النفسية لدى زوجات الشهداء في ضوء بعض المتغيرات النفسية. رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية: غزة، فلسطين.

عبد الهادي، فيحاء. (2004). نحو رؤية نسوية فلسطينية: ربط الوطني بالاجتماعي. مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 15، العدد 58، ربيع 2004.

عسيري، عبير. (2004). علاقة تشكل هوية الأنا بكل من مفهوم الذات والتوافق النفسي الاجتماعي والعام. رسالة ماجستير. كلية التربية، المملكة العربية السعودية.

الغبراء، شفيق. (2013). تحديات الهوية الفلسطينية في عالم متغير. <https://www.altaqadomi.org/?p=7091>.

القيسي، ريم. (2012). الأمن النفسي وعلاقته بالصلابة النفسية لدى زوجات المرضى الفصامين. رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القدس: فلسطين.

الكلوت، أماني. (2011). دراسة مقارنة للتوافق النفسي الاجتماعي لدى أبناء العاملات وغير العاملات في المؤسسات الخاصة في مدينة غزة. رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية: غزة.

كفاقي، علاء الدين. (1990). الصحة النفسية. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

كناعنة، شريف. (1978). التغير الاجتماعي والتوافق النفسي عند السكان العرب في إسرائيل. ترجمة مصلح كناعنة. جامعة بيرزيت: مكتب الوثائق والأبحاث.

كناعنة، شريف. (2011). دراسات في الثقافة والتراث والهوية.

الكيالي، عبد الوهاب. (1985). تاريخ فلسطين الحديث. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

المزيني، أسامة عطية. (2011). المعاناة النفسية لدى زوجات شهداء حرب غزة 2008 في ضوء بعض المتغيرات. مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، يونيو 2011.

المناصرة، عز الدين. (2019). الشهيد في شعر عز الدين المناصرة.

نصر الله، إبراهيم. (2012). أعراس آمنة. بيروت: الدار العربية للعلوم.

نعيسة، رغداء. (2015). مستوى قوة الأنا وعلاقته بمستوى التوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من زوجات الشهداء في محافظة دمشق. مجلة جامعة دمشق، المجلد 31، العدد الأول.

النواجحة، زهير. (2008). فاعلية برنامج إرشادي لخفض الضغوط النفسية لدى زوجات الشهداء: دراسة على عينة من زوجات الشهداء بمحافظة غزة. رسالة ماجستير، جامعة الأقصى: غزة، فلسطين.

هول، ستيرورات. (2008). حول الهوية الثقافية. ترجمة بول طبر. مجلة إضافات، العدد الثاني. ربيع 2008.

Crenshaw, Kimberle. (2005). **Mapping the Margins: Intersectionality, Identity Politics, and Violence against Women of Color (1994)**. In R.K. Bergen, J.L. Edleson, & C.M. Renzetti, Violence against women: Classic papers (p.282-313). Pearson Education New Zealand.

Evans, Scot. Prilleltensky, Isaac. (2007). **Youth and Democracy: Participation for personal, Relational, and Collective Well-Being**.

Evans. Scot & Prilleltensky, Isaac. (2007). **Youth and Democracy: Participation for Personal, Relational, and Collective Well-Being**. Peabody College, Vanderbilt University.

Freire, Paulo. (1970). Pedagogy of the Oppressed. Translated by Myra Bergman Ramos.

Haslam, Alexander. Jetten, Jolanda. Postmes, Tom. Haslam, Catherine. (2009). **Social Identity, Health and Well-Being: An Emerging Agenda for Applied Psychology**.

Hogg, Michael A. (2001). **A Social Identity Theory of Leadership**.

Hubert, Hermans. (2000). **The Dialogical Self as a Society of Mind: Introduction**. Theory & Psychology (pp.147-160). The Netherland: University of Nijmegen.

Khamis. (2008). **Post-traumatic stress and psychiatric disorders in Palestinian adolescents following in intifada related injuries.** *Social Science & Medicine*; 67: 1199-1207.

Levenson, H, Miller, J. (1976). **Multidimensional locus of control in sociopolitical activities of conservative and liberal ideologies.** *Journal of Personality and Social Psychology*. 33, 199-208.

Makkawi, Ibrahim. (2004). **National Identity Development among Palestinian Student Activists in the Israeli Universities.** Birzeit University, Palestine.

Makkawi, Ibrahim. (2009). **Towards an emerging paradigm of critical community psychology in Palestine.** Birzeit University, Palestine.

Martin-Baro, I. (1994). **Writing for a liberation psychology.** Cambridge, MA: Harvard University Press.

Mcmillan, David. Chavis, David. (1986). **Sense of Community: A Definition and Theory.**

Phinney, J (1989). **Stages of ethnic identity development in minority group adolescents.** *Journal of Early Adolescence*, 9(1-2) 34- 49.

Phinney, J (1995). **Ethnic identity and self-esteem: A review and integration.** In A. Padilla (Ed), *Hispanic Psychology: Critical issues in theory and research* (pp.57-70). California: Sage.

Phinney, J. (1989). **Stages of ethnic identity development in minority group adolescents.** *Journal of Early Adolescence*, 9 (1-2) 34-49.

Phinney, J. (1995). **Ethnic identity and self-esteem: A review and integration.** In A. Padilla (Ed). *Hispanic Psychology: Critical issues in theory and research* (pp.57-70). California: Sage.

Rotter, J. B. (1966). **Generalized expectancies for internal versus external control of reinforcement.** *Psychology Monographs*. No; 609.

Stouffer, S. A, Suchman, E. A, Devinney, L. C, Star, S. A, & Williams, R. M, Jr. (1949). **The American soldier: Adjustment during army life.**

Tajfel, H. & Turner, J. (1986). **The social identity theory of intergroup behavior.** In S. Worchel & W. Austin (Eds).

Tajfel, H. (1981). **Human groups and social categories.** Cambridge, UK: Cambridge University press.

Tajfel, Henri. (1978). **Differentiation between Social Group: Studies in the social psychology of intergroup relations,** APA.